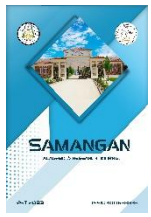
Samangan Academic and Research Journal

https://researchsparker.edu.af/index.php/SARJ

DOI: 10.64226/sarj.v3i02.201

E-ISSN: 3105-1715

P-ISSN: 3006-8835



Models of Human Issues in the Novels Children of Our Alley by Najib Mahfouz and Our Alley by Akram Osman: A Comparative Analytical Study

Misbahudin Misbah[1*], Yar Zaman Mangal[2]

[1] Master's Candidate in Arabic Language and Literature, University of Kabul, Afghanistan.
[2] PhD in Arabic Language and Literature, Faculty Member, University of Kabul, Afghanistan.

[*]***Corresponding author:*** *misbahrahimi236@gmail.com*

Cite this study: Misbah, M., Mangal, Y. Z. (2025). Models of Human Issues in the Novels Children of Our Alley by Najib Mahfouz and Our Alley by Akram Osman: A Comparative Analytical Study, *Samangan Academic and Research Journal, 3*(2), 149–172.

Keywords

Arabic Literature; Persian Literature; Akram Osman; Najib Mahfouz; Comparative Study; Novel; Human Issues; Literary Criticism; Symbolic Realism.

Abstract

This study, entitled "Models of Human Issues in the Novels Children of Our Alley by Najib Mahfouz and Our Alley by Akram Osman: A Comparative Analytical Study," examines major human issues in the two novels, identifying similarities and differences in their treatment and exploring the authors' intellectual perspectives and artistic approaches. The study focuses on injustice, suffering, discrimination, freedom, and hope, which are prominent themes in both works. It employs comparative and analytical methods to examine relevant passages, characters, events, and dialogues, supported by a socio-literary approach that considers the social contexts depicted in the novels. The findings reveal that both authors address similar human concerns but differ in their thematic emphasis and literary techniques. Mahfouz places greater emphasis on freedom and justice, presenting these themes through symbolic realism, whereas Osman focuses more extensively on marginalization, class discrimination, imprisonment, and torture, reflecting human suffering in Afghan society. Furthermore, Mahfouz relies primarily on symbolism and indirect expression, while Osman adopts a more direct representation of social realities. The study highlights how shared human experiences are represented differently across distinct cultural and literary contexts. By comparing a prominent Arabic novel with an Afghan novel from Persian literature, the research contributes to comparative literary scholarship and enhances understanding of the diverse artistic and intellectual approaches used to portray universal human concerns.

مجلهٔ علمی-تحقیقی سمنگان
https://researchsparker.edu.af/index.php/SARJ
DOI: 10.64226/sarj.v3i02.201
E-ISSN: 3105-1715
P-ISSN: 3006-8835



نماذج من القضايا الإنسانية في روايتي «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ و«كوچهٔ ما» لأكرم عثمان: دراسة تحليلية مقارنة

نامزد پوهنیار مصباح الدین مصباح[1]، یارزمان منگل[2].

[1]مرشّح ماجستير اللغة العربية وآدابها، جامعة كابل، أفغانستان.

[2]دکتوراه فی اللغة العربية وآدابها، وعضو هيئة التدريس فی جامعة كابل، أفغانستان.

***نویسندهٔ مسؤول:** misbahrahimi236@gmail.com

مرجع‌دهی: مصباح، م.، و منگل، ی. (۱۴۰٤). نماذج من القضايا الإنسانية في روايتي «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ و«كوچهٔ ما» لأكرم عثمان: دراسة تحليلية مقارنة، مجلهٔ علمی- تحقیقی سمنگان، ۳(۱)، ۱۷۲-۱۴۹.

کلمات کلیدی

الأدب العربي، الأدب الفارسي، أكرم عثمان، الدراسة المقارنة، الرواية، القضايا الإنسانية، نجيب محفوظ، النقد الأدبي، الواقعية الرمزية.

چکیده

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ«نماذج من القضايا الإنسانية في روايتي «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ و«كوچهٔ ما» لأكرم عثمان: دراسة تحليلية مقارنة» إلى دراسة نماذج مختارة من القضايا الإنسانية في الروايتين، وبيان أوجه التشابه والاختلاف في طريقة تناولهما، مع توضيح الرؤية الفكرية والبناء الفنّي عند الكاتبين في تصوير الإنسان وقضاياه. وتركّز الدراسة على عدد من القضايا الرئيسة، وهي: الظلم، والمعاناة، والتمييز، والحرية، والأمل، وقد اختيرت هذه القضايا لما لها من حضور واضح في الروايتين. واعتمدت الدراسة المنهج المقارن للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الروايتين في معالجة هذه القضايا، والمنهج التحليلي لتحليل النصوص والمواقف والشخصيات والحوارات المرتبطة بها، مع الإفادة من الاتجاه الاجتماعي الأدبي في فهم القضايا الإنسانية في ضوء الظروف الاجتماعية التي صوّرتها الروايتان. وأظهرت نتائج الدراسة أنّ الروايتين تشتركان في تناول عدد من القضايا الإنسانية، ولا سيما الظلم والمعاناة والتمييز والحرّية والأمل، إلا أنّ طريقة عرض هذه القضايا ودرجة الاهتمام بها تختلف من رواية إلى أخرى. فقد ركّز نجيب محفوظ بصورة أوضح على قضيتي الحرّية والعدالة، وقدّمهما في إطار يقوم على الواقعية الرمزية، في حين اهتمّ أكرم عثمان أكثر بقضايا التهميش والتمييز الطبقي والسجن والتعذيب، وصوّر من خلالها معاناة الإنسان في المجتمع. كما بيّنت الدّراسة اختلافًا في الرؤية الفكرية والبناء الفنّي؛ إذ يميل نجيب محفوظ إلى استخدام الرمز والإيحاء، بينما يميل أكرم عثمان إلى تصوير الواقع الاجتماعي بصورة أكثر مباشرة. وتتمثّل إضافة هذه الدراسة في إجراء مقارنة تطبيقية بين رواية عربية معروفة ورواية أفغانية تنتمي إلى الأدب الفارسي، والكشف عن كيفية معالجة قضايا إنسانية مشتركة في بيئتين ثقافيتين مختلفتين، بما يُسهم في توسيع مجال الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، ووهبه النطق والبيان، وكرّمه بالعقل والمعرفة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد؛ فيُعدّ الأدب من أهم الوسائل التي يعبّر بها الإنسان عن نفسه ومشكلاته، ويصوّر من خلالها القضايا الاجتماعية والفكرية والإنسانية التي يعيشها. وتظهر هذه القضايا بصورة واضحة في الرواية؛ لما تتيحه من إمكانات واسعة في تصوير الشخصيات والأحداث والبيئة الاجتماعية، والكشف عن الصراعات التي يعيشها الإنسان. وتُعدّ رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ من الروايات التي نالت اهتمامًا نقديًا واسعًا؛ لما فيها من رموز وأفكار تتصل بالإنسان والمجتمع والتاريخ. وقد رأى غسان غنيم أن الرواية تعرض قضية الإنسان والإنسانية بصورة عامة، وقضية الإنسان العربي بصورة خاصة، من خلال عالم متخيّل وتوظيف الرموز والأنماط الأولية في معالجة الواقع (غنيم، ٢٠٠٨، ١١٠). كما تناول الطاهر أحمد مكي بعض رموز الرواية ودلالاتها، مما يدل على أهمية الجانب الرمزي فيها (مكي، ١٩٩٠، ٩٥–١٠٢). ومن جهة أخرى، تُعدّ رواية «كوچة ما» لأكرم عثمان من الأعمال المهمة في الأدب الأفغاني الحديث، وقد ارتبطت بالواقع السياسي والاجتماعي في أفغانستان. ظهرت الرواية بين عامي ١٩٩٨ و٢٠٠٤ في ثلاث صحف، ثم صدرت في مجلدين سنة ٢٠٠٥ في كولونيا بألمانيا عن «انتشارات كاوه» (بهزان، ٢٠٠٨، ٢٣). ويصوّر أكرم عثمان في أعماله المجتمع الأفغاني وطبقاته الاجتماعية وقضاياه واحتياجاته الإنسانية، كما يستخدم لغة قريبة من التقاليد الشعبية (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢١–٢٢). وقد أشار بهزان إلى الطابع السياسي لرواية «كوچة ما»، مما يجعلها مناسبة لدراسة علاقة الإنسان بالمجتمع والسلطة والتحولات التاريخية (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢٣).

وعلى الرغم من وجود دراسات تناولت «أولاد حارتنا» من جوانب رمزية وفكرية واجتماعية، ودراسات تناولت تجربة أكرم عثمان و«كوچة ما»، فإن الدراسات التي تجمع بين الروايتين في دراسة مقارنة للقضايا الإنسانية تبدو محدودة، في حدود ما استطاع الباحث الاطلاع عليه. ومن هنا جاءت هذه الدراسة للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الروايتين في معالجة القضايا الإنسانية، وبيان رؤية كل من نجيب محفوظ وأكرم عثمان في عرضها. وتكمن أهمية الدراسة في أنها تجمع بين رواية عربية ورواية أفغانية تنتمي إلى الأدب الفارسي، وتدرس قضايا إنسانية مشتركة في بيئتين مختلفتين. كما تحاول بيان أثر البيئة الاجتماعية والثقافية في طريقة معالجة هذه القضايا، والإسهام في الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي، ولا سيما في مجال الرواية الأفغانية. وتهدف الدراسة إلى التعرف إلى أبرز القضايا الإنسانية في الروايتين، وبيان طريقة معالجتها، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في رؤية الكاتبين، ومعرفة أثر البيئة الاجتماعية والثقافية في هذه المعالجة. وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما أبرز القضايا الإنسانية التي تناولتها روايتا «أولاد حارتنا» و«كوچة ما»، وكيف عالج كلٌّ من نجيب محفوظ وأكرم عثمان هذه القضايا؟ ويتفرع عنه السؤالان الآتيان: ١. ما أوجه التشابه والاختلاف في معالجة القضايا الإنسانية في الروايتين؟ ٢. ما أبرز السمات الفكرية والفنية في معالجة كل كاتب لهذه القضايا؟ وتقتصر الدراسة على روايتي «أولاد حارتنا» و«كوچة ما»، وعلى نماذج مختارة من القضايا الإنسانية، وأبرزها :الظلم، والمعاناة، والتمييز، والحرية، والأمل، مع التركيز على الجوانب الفكرية والفنية المرتبطة بمعالجتها. وتتمثل إضافة الدراسة في الجمع بين رواية عربية ورواية أفغانية في دراسة مقارنة للقضايا الإنسانية وطرائق تمثيلها، بما يسهم في توسيع مجال الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي.

۱. الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الدراسات المتعلقة بالموضوع، يتضح أن «أولاد حارتنا» حظيت بدراسات ركزت على رموزها وأفكارها وجوانبها الاجتماعية، كما تناولت بعض الدراسات تجربة أكرم عثمان وعلاقتها بالمجتمع الأفغاني. وتختلف الدراسة الحالية عنها في أنها تجمع بين الروايتين، وتركز على القضايا الإنسانية وطرائق معالجتها.

- دراسة غسان غنيم

بعنوان «رواية أولاد حارتنا والأنماط الأولية»، المنشورة في مجلة الأثر، العدد السابع، سنة ٢٠٠٨، ١٠٩–١٢٠. تناولت الدراسة الرموز والأنماط الأولية في الرواية، وربطت الصراع فيها بالثروة والسلطة والسعي إلى العدل (غنيم، ٢٠٠٨، ١٠٩–١١٠). وتفيد الدراسة الحالية في فهم الجانب الرمزي والفكري في «أولاد حارتنا»، لكنها لا تقارنها بـ«كوچهٔ ما».

- دراسة الطاهر أحمد مكي

بعنوان «أولاد حارتنا لنجيب محفوظ: محاولة لتفسير بعض رموزها»، المنشورة في مجلة عالم الكتاب، العدد ٢٥، سنة ١٩٩٠، ٩٥–١٠٢. تناولت الدراسة بعض رموز الرواية ودلالاتها (مكي، ١٩٩٠، ٩٥–١٠٢). وتفيد الدراسة الحالية في الجانب الرمزي، لكنها تركز على «أولاد حارتنا» ولا تتناول المقارنة بينها وبين رواية أفغانية.

- دراسة فريد الله بهزان

بعنوان «كاتب معاصر من أفغانستان: أكرم عثمان وقصصه القصيرة»، والمنشورة في مجلة الدراسات البريطانية للشرق الأوسط، المجلد ٣٥، العدد ١، سنة ٢٠٠٨، الصفحات ٢١–٣٦. تناولت الدراسة تجربة أكرم عثمان الأدبية وعلاقتها بالمجتمع الأفغاني، وبيّنت اهتمامه بتصوير الطبقات الاجتماعية والقضايا والاحتياجات الإنسانية في المجتمع الأفغاني (بهزان، ٢٠٠٨، ٢١–٢٢). كما قدمت معلومات عن رواية «كوچهٔ ما» وطابعها السياسي (بهزان، ٢٠٠٨، ٢٣). وتفيد هذه الدراسة في التعريف بتجربة أكرم عثمان وخلفيته الأدبية والاجتماعية، لكنها لا تتناول القضايا الإنسانية في رواية «كوچهٔ ما» من خلال دراسة مقارنة مع رواية «أولاد حارتنا».

- دراسة عبد الفهيم مشعل

بعنوان «صورة المجتمع عند نجيب الكيلاني وأكرم عثمان: دراسة مقارنة»، وهي رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية في جامعة كابل. تناولت صورة المجتمع والقضايا الاجتماعية في أعمال نجيب الكيلاني وأكرم عثمان. وتفيد الدراسة الحالية في بعض الجوانب المتعلقة بتجربة أكرم عثمان، لكنها تختلف عنها في موضوعها؛ إذ تركز الدراسة الحالية على المقارنة بين «أولاد حارتنا» و«كوچهٔ ما» من خلال القضايا الإنسانية. ومن خلال هذه الدراسات والمواد النقدية يتضح أنّ الأعمال السابقة التي أمكن التحقق منها تناولت «أولاد حارتنا» من جوانب رمزية وفكرية واجتماعية، كما تناولت«كوچهٔ ما» من حيث علاقتها بالتاريخ والمجتمع الأفغاني، إلا أن الدراسة الحالية تتجه إلى الجمع بين الروايتين في مقارنة مباشرة تركز على القضايا الإنسانية وطرائق تمثيلها، ثم تبحث في الرؤية الفكرية والوسائل الفنية التي اعتمدها كل كاتب في تقديمها، مع مراعاة اختلاف السياق الثقافي والتاريخي لكل رواية.

٢. منهج البحث

اعتمدت الدراسة المنهج المقارن التحليلي بوصفه المنهج الرئيس؛ لأنه يتناسب مع طبيعة البحث الذي يقوم على دراسة روايتين تنتميان إلى أدبين مختلفين، ثم الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما. ويقوم الأدب المقارن على دراسة العلاقات بين الآداب المختلفة، وعلى الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينها، مع مراعاة العوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية المؤثرة في الأدب (بكار، يوسف وخليل، الشيخ، ٢٠٢٤، ٦٢).

ويقوم الجانب التحليلي في الدراسة على قراءة المقاطع السردية والأحداث والشخصيات والحوارات المرتبطة بالقضايا المختارة، وتحليل دلالاتها الفكرية والفنية، في حين يقوم الجانب المقارن على موازنة طريقة تمثيل هذه القضايا في الروايتين، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينها. ولا تقتصر المقارنة في هذه الدراسة على مجرد إثبات التشابه أو الاختلاف، وإنما تسعى إلى تفسير دلالاتهما في ضوء طبيعة كل نص وسياقه الثقافي والاجتماعي والتاريخي. واختيرت القضايا المدروسة بناءً على حضورها الواضح في الروايتين وإمكان المقارنة بين طرائق تمثيلها ودلالاتها، ولذلك ركزت الدراسة على الظلم، والمعاناة، والتمييز، والحرية، والأمل. كما استفادت من المنظور الاجتماعي الأدبي عند تفسير بعض القضايا في ضوء الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي صورتها الروايتان، مع مراعاة خصوصية البيئة التاريخية والاجتماعية لكل نص. وسارت عملية التحليل من خلال تحديد القضايا المختارة في كل رواية، ثم اختيار المقاطع والأحداث والشخصيات والحوارات التي تكشف عن طريقة تمثيلها، وتحليل دلالاتها ووظيفتها في بناء النص، ثم إجراء المقارنة بين الروايتين من حيث الموضوع وطريقة التصوير والرؤية الفكرية والأسلوب الفني. كما روعي في المقارنة اختلاف السياق الثقافي والتاريخي للروايتين، فلم تُفسَّر العناصر الفنية والاجتماعية في أي منهما بمعزل عن بيئتها الخاصة. وقد انتظمت الدراسة في مقدمة، ودراسات سابقة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة؛ يتناول التمهيد الإطار العام للموضوع، حيث يتناول الباحث مفهوم القضايا الإنسانية وحضورها في الأدبين العربي والفارسي، ويعرض المبحث الأول التعريف بالروائيين والروايتين، ويتناول المبحث الثاني المقارنة بين الروايتين في ضوء معالجة القضايا الإنسانية، بينما يخصص المبحث الثالث للدراسة المقارنة والبناء الفني، ثم تأتي الخاتمة متضمنة أهم النتائج والتوصيات واعتمدت الدراسة نظام APA في توثيق المصادر والمراجع، مع الحرص على توحيد طريقة الإحالة داخل المتن وقائمة المصادر والمراجع، وإثبات بيانات النشر وأرقام الصفحات عند الاقتباس المباشر.

التمهيد: مفهوم القضايا الإنسانية وحضورها في الأدبين العربي والفارسي

تُعدّ القضايا الإنسانية من الموضوعات التي شغلت الأدباء في مختلف العصور؛ لأنها ترتبط بحياة الإنسان وما يواجهه من ظروف اجتماعية وفكرية ونفسية، وما يعيشه من آلام وآمال وصراعات. ولا يقصد بالقضايا الإنسانية في هذه الدراسة جميع الموضوعات المتصلة بالإنسان، وإنما القضايا التي تمسّ حياته وكرامته وحريته وعلاقته بالآخر والمجتمع، مثل الظلم والعدالة والمعاناة والتمييز والحرية والأمل.

١. مفهوم القضايا الإنسانية

يتكون مصطلح «القضايا الإنسانية» من لفظي «القضايا» و«الإنسانية»، ولذلك يمكن تحديد المقصود به من خلال بيان دلالة كل منهما. فالقضية في اصطلاح المناطقة هي القول الذي «يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب» (لويس معلوف، د.ت، ٦٣٦). أما لفظ «الإنسان» فقد ربطه ابن منظور بالأنس، وهو ضد الوحشة، وهو اللفظ الذي يدل على هذا الكائن بما يحمله من خصائص عقلية وأخلاقية واجتماعية (ابن منظور، ١٩٩٤، ١٠/٦).

ویقصد بالقضایا الإنسانیة في هذه الدراسة المسائل والمشکلات التي تتصل بحیاة الإنسان وکرامته وحریته وعلاقته بالآخر والمجتمع، وتتجسد في النص الروائي من خلال الأحداث والشخصیات والمواقف والحوارات والصراعات. ولا تُعدّ القضیة من القضایا المدروسة لمجرد ورودها في النص، وإنما عندما یکون لها حضور واضح أو دلالة مؤثرة في بناء الأحداث والشخصیات والرؤیة الفکریة للروایة. وبناءً على ذلك، ترکز الدراسة على مجموعة من القضایا التي ظهر حضورها في الروایتین، وهي: الظلم والعدالة، والمعاناة والتمییز، والحریة، والفقر، والیأس والأمل. وتُدرس هذه القضایا من خلال تتبع صورها في الأحداث والمواقف والحوار وعلاقات الشخصیات، وما تکشف عنه من صراع أو مقاومة أو خضوع، بما یساعد على بیان موقف کل کاتب منها وطریقة معالجتها فنیًا وفکریًا.

۲. مفهوم الإنسانیة في الفکر الإنساني

ارتبط مفهوم الإنسانیة في الفکر الغربي بقیمة الإنسان ومکانته، وبالسعي إلى تحقیق ذاته والارتقاء بقدراته العقلیة والأخلاقیة؛ فقد عرّف رالف بارتون بیري الإنسانیة بأنها «رسالة أو حرکة ثقافیة تجعل الإنسان هدفًا ومثالًا» (بیري، رالف بارتون، ۱۹۸۹، ۱۲)، بینما نظر إلیها دي رجمون بوصفها رؤیة شاملة للحیاة تقوم على تحقیق الإنسان لذاته بالجهد الإنساني (حوّر، محمد إبراهیم، ۱۹۸۵، ۱۹). کما ربط أوغست کونت الإنسانیة بالارتقاء العقلي والأخلاقي، حیث یسمو العقل والغیریة على الغریزة والأنانیة (التوم، صلاح إبراهیم محمد، ۲۰۲۳، ۱۰۸).

وفي التراث العربي والفکر الإسلامي ارتبط مفهوم الإنسانیة بحقیقة الإنسان وقیمته الأخلاقیة؛ فقد رأى ابن سینا أنها ماهیة خاصة بالإنسان، وربط أبو حیان التوحیدي تحقیق الإنسانیة بتهذیب النفس والابتعاد عن الشهوات (حوّر، محمد إبراهیم، ۱۹۸۵، ۱۹؛ البدیوي، صالح، ۲۰۰۰، ٤۸). أما في الفکر المعاصر، فقد نظر محمد أرکون إلى الإنسانیة بوصفها موقفًا نضالیًا ضد أشکال العنف المختلفة التي تمارس ضد الإنسان (أرکون، محمد، د.ت، ٤۱، ٦۱). ومن خلال هذه التصورات یتضح أن الإنسانیة مفهوم متعدد الأبعاد، یتقاطع فیه الفلسفي والأخلاقي والثقافي، ویتمحور حول قیمة الإنسان وکرامته، وهو ما یسمح بدراسة حضورها في الأدب من خلال القضایا والتجارب التي تکشف عن علاقة الإنسان بذاته وبالآخر والمجتمع.

۳. تطور مفهوم الإنسانیة في الأدب العربي

ظهر الحس الإنساني في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي، حیث ارتبط بالقیم الأخلاقیة مثل الشجاعة والوفاء والکرم، کما عبّر زهیر بن أبي سلمى عن نزعة رافضة للحرب من خلال تصویر آثارها المدمرة في الإنسان والمجتمع (سعید، أمین، د.ت، ۱۲٦؛ فاعور، علي حسن، ۱۹۸۸، ۱۰۷).

وفي العصر الإسلامي اتسعت دائرة القیم الإنسانیة، فارتبطت بالعدل والمساواة والتقوى، کما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ۱۳]، وقوله صلى الله علیه وسلم: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» (أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحدیث: ۲۳٤۸۹؛ الألباني، شرح العقیدة الطحاویة، ۳٦۱). ثم ظهرت في العصر الأموي، ولا سیما في الغزل العذري، صورة إنسانیة تقوم على الطهارة والصدق العاطفي، کما عند کثیر عزة الذي رکز على فضائل محبوبته الأخلاقیة (طراد، مجید، ۱۹۹۹، ۱۱۷). وفي العصر العباسي ارتبط مفهوم الإنسانیة في جانب منه بالنزعة الصوفیة، حیث جعل ابن عربي الحب أساسًا للعلاقة بین الإنسان والوجود (مغنیة، محمد جواد، ۱۹٦۳، ۱۸).

أما في العصر الحديث، فقد أصبحت القضايا الإنسانية أكثر اتصالًا بالواقع الاجتماعي والسياسي، فظهرت في موضوعات الحرية والاحتلال والعدالة ومعاناة الشعوب، ولا سيما في الأدب الذي تناول قضايا المقاومة والتحرر.

٤. تطور مفهوم الإنسانية في الأدب الفارسي

عرف الأدب الفارسي النزعة الإنسانية منذ العصور القديمة، وارتبطت بصورة خاصة بقيم العدل والمحبة وخدمة الإنسان. فقد أكد الفردوسي أهمية العدل في الحكم ورعاية الضعفاء، وجعل ذلك أساسًا لصلاح المجتمع (فردوسي، ١٣٩٦، ١٢٧٣). كما عبّر أبو سعيد أبي الخير عن نزعة صوفية تجعل إسعاد الإنسان وخدمة الآخرين من أسمى القيم (أبو سعيد أبو الخير، د.ت، رباعي رقم ٦٩١).

وتجلت النزعة الإنسانية الصوفية أيضًا عند جلال الدين الرومي، حيث جعل المحبة قوة قادرة على تغيير الإنسان والوجود (مولانا، جلال الدين محمد البلخي، ١٤٠٤، القسم الأول: ٢١٧)، كما دعا سعدي الشيرازي إلى وحدة البشر وترابطهم، مصورًا الإنسان عضوًا في جسد إنساني واحد (سعدي الشيرازي، مشرف الدين، ١٣٩٩، ٣٦). وربط حافظ الشيرازي الإنسانية بالحكمة الاجتماعية القائمة على المروءة مع الأصدقاء والمداراة مع الأعداء (الشيرازي، حافظ شمس الدين، ١٤٠٣، الرقم الخامس، ١١).

وفي الأدب الأفغاني المعاصر ظهرت الإنسانية في تصوير آلام الإنسان وآماله، كما عند خليل الله خليلي الذي عبّر عن مقاومة اليأس والتمسك بالأمل رغم المعاناة (خليلي، خليل الله، ١٩٧٥، الرقم ٩، ١٤). وهكذا تطور حضور الإنسانية في الأدب الفارسي من التعبير عن القيم الأخلاقية والدينية إلى رؤية أكثر اتساعًا تقوم على المحبة والعدل والتعاطف مع الإنسان، ثم ظهر في الأدب الأفغاني الحديث في تصوير معاناة الإنسان وتحولاته الاجتماعية والسياسية. ومن خلال هذا العرض يتضح أن القضايا الإنسانية، على اختلاف صورها في الأدبين العربي والفارسي، ارتبطت بقيمة الإنسان وكرامته وعلاقته بالآخر والمجتمع، وإن اختلفت طرق التعبير عنها باختلاف البيئات والعصور. ويشكل هذا الإطار أساسًا لتحليل القضايا المختارة في روايتي «أولاد حارتنا» و«كوچة ما»، مع مراعاة اختلاف السياق الثقافي والتاريخي لكل رواية وطريقة تمثيل الكاتب لهذه القضايا فنيًا وفكريًا.

المبحث الأول: التعريف بالروائيين والروايتين

يتناول هذا المبحث التعريف بنجيب محفوظ وأكرم عثمان، والوقوف على أهم ملامح حياتهما ومسيرتهما الأدبية، ثم التعريف بروايتي «أولاد حارتنا» و«كوچة ما» وبيان أبرز خصائصهما الفنية. ويمهّد ذلك لفهم العالم الروائي الذي نشأت فيه القضايا الإنسانية موضوع الدراسة.

المطلب الأول: نجيب محفوظ ورواية «أولاد حارتنا»

أولًا: مولده ونشأته وحياته الأدبية

وُلد نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا في ١١ ديسمبر ١٩١١م في حي الجمالية بالقاهرة، ونشأ في بيئة شعبية كان لها أثر في تكوين شخصيته الأدبية، وانعكس ذلك في كثير من أعماله التي صورت المجتمع المصري وحياته الاجتماعية (أميمة، ١٩٩١، ٨). تلقى نجيب محفوظ تعليمه الأول في الكُتّاب، ثم التحق بجامعة القاهرة ودرس الفلسفة، وتخرج سنة ١٩٣٤م. وبعد ذلك بدأ إعداد رسالة ماجستير في الفلسفة الإسلامية، لكنه لم يكملها، واتجه إلى العمل الأدبي الذي أصبح المجال الأساسي في حياته (صبري، أحمد، ١٩٩٢، ٣٥٥). عمل محفوظ في عدد من الوظائف الحكومية، منها العمل في وزارة الأوقاف وبعض

المؤسسات الثقافية والسينمائية، وقد ساعدته هذه الأعمال على معرفة المجتمع المصري ومشكلاته، وهو ما ظهر في إنتاجه الأدبي (نبيل فرج، ١٩٨٦، ٢٤).

بدأ حياته الأدبية بكتابة الرواية التاريخية، ثم انتقل إلى الواقعية الاجتماعية، فأخذ يصور المجتمع المصري وتحولاته السياسية والاجتماعية، واستفاد في كثير من أعماله من البيئة الشعبية التي نشأ فيها. وبذلك أصبح من أبرز رواد الرواية العربية الحديثة (أميمة، ١٩٩١، ١٥). كما تأثر بعدد من الأدباء والمفكرين العرب والغربيين، مثل طه حسين وفولتير ونيتشه وديكارت، وأسهم هذا التأثر في تكوين رؤيته الفكرية والأدبية التي جمعت بين عناصر من التراث العربي وبعض الأفكار الفلسفية الحديثة (الغيطاني، ١٩٨٧، ٢٢).

وتُعد «أولاد حارتنا» من أكثر أعماله إثارة للجدل بسبب طبيعتها الرمزية والفكرية، كما تعرض سنة ١٩٩٤م لمحاولة اغتيال أدت إلى إصابته بجروح خطيرة (هدى التميمي، ٢٠١٥، ١٩). حصل محفوظ على عدد من الجوائز الأدبية، وكان أبرزها جائزة نوبل في الأدب سنة ١٩٨٨م، ليكون أول أديب عربي يحصل عليها. ومن أشهر أعماله «الثلاثية»، و«زقاق المدق»، و«أولاد حارتنا». وتوفي في القاهرة سنة ٢٠٠٦م، بعد أن ترك إنتاجًا أدبيًا كبيرًا في الرواية العربية الحديثة (أبويساني، حسين، ١٣٨٨، ٩). وقد انعكست البيئة الاجتماعية التي عاش فيها محفوظ على رؤيته الأدبية؛ إذ اهتم بتصوير الإنسان في علاقته بالمجتمع والسلطة والظروف المحيطة به، ولذلك حضرت في أعماله قضايا مثل العدالة والحرية والظلم والصراع بين القوة والضعف، وهي قضايا تظهر بصورة واضحة في «أولاد حارتنا» (أميمة، ١٩٩١، ١٧).

ثانيًا: التعريف برواية «أولاد حارتنا»

تُعد «أولاد حارتنا» من أشهر روايات نجيب محفوظ، ومن أكثر الروايات إثارة للجدل في الأدب العربي الحديث، لما تتضمنه من رموز وإشارات فكرية تتصل بالإنسان والمجتمع. وقد نشرت أولًا مسلسلة في صحيفة «الأهرام» سنة ١٩٥٩م، ثم أثارت نقاشًا واسعًا بسبب طبيعتها الرمزية والفكرية (الحجازي، أحمد عبدالمعطي، ١٩٩٢، ١٤–١٩).

تدور أحداث الرواية في الحارة، وهي المكان الذي جعله محفوظ يتجاوز معناه الجغرافي ليصبح صورة رمزية للمجتمع الإنساني. وقد اعتمد في بناء الرواية على شخصيات وأحداث تحمل دلالات تتجاوز معناها المباشر، مما منح العمل بعدًا فكريًا وإنسانيًا واسعًا (شكري، محمد يحيى معتز، ١٩٨٩، ٨٩).

وتدور الرواية بصورة أساسية حول صراع الإنسان مع الظلم والسلطة، وسعيه إلى تحقيق العدالة والمعرفة. ولذلك أصبحت قضايا مثل الحرية والعدل والظلم والمعاناة من العناصر المهمة في بنائها الفكري والفني.

ثالثًا: الخصائص الفنية لرواية «أولاد حارتنا»

يبرز الرمز بصورة واضحة في «أولاد حارتنا»، فلا تقف الشخصيات والأحداث عند معناها الظاهر، وإنما تحمل دلالات فكرية وإنسانية متعددة (طرابيشي، جورج، ١٩٨٨، ٣٠).

وتؤدي الحارة دورًا أساسيًا في البناء الفني؛ فهي ليست مكانًا للأحداث فقط، بل فضاء تتداخل فيه الشخصيات والصراعات والعلاقات الاجتماعية، ومن خلالها يقدم محفوظ صورة أوسع عن المجتمع والإنسان.

كما تتميز الشخصيات بدلالاتها الرمزية، إذ تتحول بعض الشخصيات والأحداث إلى وسائل للتعبير عن قضايا السلطة والعدل والمعرفة والصراع الإنساني. ولذلك تحتاج الرواية إلى قراءة تجمع بين مستواها الحكائي ومستواها الرمزي والفكري.

المطلب الثاني: أكرم عثمان ورواية «كوچهٔ ما»

أولًا: حياته وشخصيته ومسيرته الأدبية

يُعدّ أكرم عثمان من الكتّاب الأفغان المعاصرين الذين أسهموا في تطور الأدب الأفغاني الحديث، ولا سيما فن القصة القصيرة. ويذكر فريد الله بهزان أن أكرم عثمان كان من أبرز كتّاب القصة القصيرة في أفغانستان خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، واستطاع أن يجمع بين التقاليد الأدبية المحلية والأساليب الفنية الحديثة، مما جعله من الكتّاب المعروفين في أفغانستان (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢١).

وُلد أكرم عثمان سنة ١٩٣٧م، وحصل على الدكتوراه في القانون والعلوم السياسية من إيران. وعمل في عدد من المؤسسات الحكومية، كما قدم برامج إذاعية في الشعر والقصة، ثم تولى رئاسة معهد التاريخ والقانون في أكاديمية العلوم الأفغانية، ورئاسة اتحاد الكتاب الأفغان، كما عمل في المجال الدبلوماسي في عدد من الدول (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢١–٢٢).

وكان للبيئة الأسرية أثر في تكوين نظرته إلى المجتمع؛ فقد كان والده من أسرة محمدزاي الحاكمة، بينما كانت والدته من طبقة اجتماعية أدنى. وقد أتاح له هذا الوضع معرفة بيئتين اجتماعيتين مختلفتين، وهو ما انعكس في اهتمامه بالفوارق الطبقية والاجتماعية. كما أسهم اهتمامه بالتاريخ ودراسته في تكوين خصائص مميزة في أعماله الأدبية (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢٢).

كتب أكرم عثمان أكثر من ثمانين قصة قصيرة ورواية واحدة، وظهرت في أعماله موضوعات سياسية واجتماعية وساخرة، إضافة إلى موضوعات العادات وقضايا الشتات. ومن مجموعاته القصصية: «وقتی که نی‌ها گل می‌کند» سنة ١٩٨٣م، و«درز دیوار» سنة ١٩٨٥م، و«مردها را قول است» سنة ١٩٨٨م، و«قحط‌سالی» سنة ٢٠٠٣م (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢٢).

وظهرت القضايا السياسية بصورة واضحة في أعماله المبكرة، ولا سيما في أواخر خمسينيات القرن العشرين وستينياته. وعلى الرغم من أن بعض هذه الأعمال لم تكن متقدمة فنيًا، فإنها عبّرت عن اهتمامه بالطبقات الدنيا وعن رغبته في رؤية مجتمع أفغاني أكثر عدلًا وأقل قهرًا وصراعًا طبقيًا (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢٢).

ومع اندلاع الحرب الأهلية الأفغانية سنة ١٩٩٢م، انتقل أكرم عثمان إلى السويد، وواصل نشاطه الأدبي والثقافي بين أبناء الجالية الأفغانية، كما تولى رئاسة نادي القلم الأفغاني الذي كان يصدر مجلة «فردا» في ستوكهولم. واستمر في الكتابة حتى بعد انتقاله إلى أوروبا (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢٢).

ثانيًا: رواية «كوچهٔ ما» وخصائصها الفنية

تحتل رواية «كوچهٔ ما» مكانة مهمة في تجربة أكرم عثمان، لأنها تمثل عمله الروائي في مسيرة أدبية غلب عليها فن القصة القصيرة. ويذكر بهزان أن أكرم عثمان كتب أكثر من ثمانين قصة قصيرة ورواية واحدة، ويصف «كوچهٔ ما» بأنها رواية سياسية؛ ولذلك يمكن النظر إليها بوصفها امتدادًا لاهتمام الكاتب بالقضايا السياسية والاجتماعية (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢٢–٢٣).

نشرت الرواية بين عامي ١٩٩٨ و٢٠٠٤ في ثلاث صحف كانت تصدر في المهجر، هي «زرنگار» في تورنتو، و«سرير» في أمستردام، و«فردا» في ستوكهولم، ثم صدرت في مجلدين سنة ٢٠٠٥م في مدينة كولونيا بألمانيا عن انتشارات كاوه (بهزان، فريد الله، ٢٠٠٨، ٢٣).

ویحتل المکان، ولا سیما الزقاق، موقعًا مهمًا في بناء الروایة. فالزقاق لیس مجرد مکان تجري فیه الأحداث، بل یمثل صورة مصغرة للمجتمع الأفغاني، إذ یعیش فیه أشخاص من طبقات واتجاهات اجتماعیة ودینیة مختلفة، وتظهر بینهم العلاقات الأسریة والاجتماعیة والسیاسیة. ومن خلاله یربط الکاتب بین الحیاة الیومیة والتحولات التي شهدتها أفغانستان. کما یحمل عنوان «کوچهٔ ما» دلالة على الانتماء والمشارکة؛ فالزقاق مکان قریب من حیاة الناس، وکلمة «ما» تمنحه معنى جماعیًا. ولذلك یمکن النظر إلى الزقاق بوصفه صورة للمجتمع والوطن، وما یحدث فیه یتصل بما یحدث في البلاد بصورة أوسع. وتتمیز الروایة أیضًا بتعدد الشخصیات وتنوعها. وتبرز شخصیة أمین بوصفها إحدى الشخصیات المرکزیة، فهو شاب یعیش في مجتمع مضطرب ویسعى إلى العدالة والتغییر، لکنه یواجه القهر والظروف السیاسیة والاجتماعیة الصعبة. ومن خلاله یعرض الکاتب مشکلة الإنسان الذي یرید تغییر واقعه في بیئة مضطربة. وتظهر إلى جانب أمین شخصیة زلیخا، وهي فتاة یهودیة تنشأ بینها وبینه علاقة عاطفیة، وتکشف هذه العلاقة أثر الاختلاف الدیني والاجتماعي في حیاة الإنسان. کما تظهر شخصیات أخرى مثل آغا ومحمد محسن وحاخام موسى وشیر أحمد «السفیر»، إلى جانب شخصیات من عامة الناس، تسهم في تصویر الحیاة الیومیة داخل الزقاق. ویرتبط زمن الروایة بالأحداث السیاسیة والتاریخیة التي مرت بها أفغانستان، ولذلك لا یمکن فصل حیاة الشخصیات عن تاریخ البلاد؛ فالتغیرات السیاسیة تؤثر في علاقاتهم وأفکارهم ومصائرهم. ومن هنا تجمع الروایة بین السرد الاجتماعي والتاریخي، وتقدم صورة عن الإنسان الأفغاني في مرحلة ملیئة بالصراعات والتحولات. وتقوم الحبکة في جانب أساسي منها على الصراع بین الإنسان والسلطة والاستبداد، ویظهر ذلك خصوصًا في شخصیة أمین الذي یسعى إلى التغییر والعدالة، لکنه لا یتجه بسهولة إلى العنف. وهذا یبرز الصراع الداخلي في الشخصیة بین مقاومة الظلم والخوف من أن یؤدي العنف إلى ظلم آخر. ومن خصائص الروایة کذلك النهایة المفتوحة؛ إذ لا ینتهي الصراع بحل نهائي، ولا یقدم الکاتب جوابًا واضحًا لجمیع مشکلات المجتمع. ویمکن فهم ذلك في ضوء تعقید الأوضاع السیاسیة والاجتماعیة التي عاشتها أفغانستان. ویؤدي الزقاق وظیفة سردیة واجتماعیة في الوقت نفسه؛ فهو یجمع الشخصیات المختلفة، ویکشف علاقاتها، ویساعد الکاتب على تصویر المجتمع من خلال تفاصیل الحیاة الیومیة. کما تمیل الروایة إلى الواقعیة في تصویر الحیاة الاجتماعیة والسیاسیة؛ فالأحداث التاریخیة لا تأتي منفصلة عن حیاة الشخصیات، وإنما تظهر من خلال آثارها المباشرة في الناس. وبهذا تجمع «کوچهٔ ما» بین تصویر الواقع الاجتماعي وربط هذا الواقع بالتحولات السیاسیة والتاریخیة في أفغانستان.

المبحث الثاني: المقارنة بین الروایتین في ضوء معالجة القضایا الإنسانیة

لا تعتمد المقارنة بین الروایات على جمع أوجه التشابه والاختلاف فقط، بل تحاول معرفة الطریقة التي عالج بها کل کاتب القضیة نفسها داخل روایته. فقد تکون القضیة موجودة في روایتین، ولکن تختلف صورتها بسبب اختلاف البیئة والتاریخ والشخصیات وطریقة السرد. ولذلك فإن اشتراك الروایتین في قضیة معینة لا یعني أن الکاتبَین ینظران إلیها بالطریقة نفسها. وقد تناولت روایتا «أولاد حارتنا» لنجیب محفوظ و«کوچهٔ ما» لأکرم عثمان عددًا من القضایا التي تتصل بحیاة الإنسان وعلاقته بالمجتمع والسلطة. وقد اختارت الدراسة بعض هذه القضایا للمقارنة، ولا تقصد بذلك حصر جمیع القضایا الموجودة في الروایتین. ومن أهم القضایا المختارة: الظلم والقهر، والحریة، والمعاناة، والفقر، والیأس والأمل، والعدالة، والسجن والتعذیب، والتمییز الاجتماعي. وتختلف طریقة ظهور هذه القضایا في الروایتین. ففي «أولاد حارتنا» یقدم نجیب محفوظ کثیرًا من القضایا من خلال عالم الحارة وشخصیاتها،

بحيث تحمل الأحداث والشخصيات معاني أوسع من ظاهرها. أما أكرم عثمان في «كوچهٔ ما» فيربط كثيرًا من القضايا بالواقع الاجتماعي والسياسي والتاريخي في أفغانستان، ولذلك تبدو بعض الأحداث أقرب إلى الحياة التي عاشها المجتمع الأفغاني. ولهذا لا تقتصر المقارنة في هذا المبحث على بيان وجود القضية في الروايتين، وإنما تهتم أيضًا بمعرفة كيف ظهرت القضية في كل رواية، وما الذي جعل معالجة أحد الكاتبين تختلف عن معالجة الآخر.

المطلب الأول: القضايا الإنسانية المشتركة بين الروايتين

تظهر من خلال قراءة الروايتين مجموعة من القضايا المشتركة التي تتصل بالإنسان وحياته في المجتمع. ومن أهمها الظلم والقهر والحرية والمعاناة والفقر واليأس. غير أن اشتراك الروايتين في هذه القضايا لا يعني أن طريقة عرضها واحدة، لأن كل كاتب يعالجها من خلال عالمه الروائي والظروف التي تعيش فيها شخصياته.

١. قضية الظلم والقهر

يحتل الظلم والقهر مكانًا واضحًا في الروايتين، ويظهر أثرهما في حياة الشخصيات وعلاقاتها بالآخرين. غير أن صورة القهر تختلف بينهما؛ ففي «أولاد حارتنا» يرتبط القهر بصورة واضحة بسلطة الفتوات وما يفرضونه على سكان الحارة، بينما يظهر في «كوچهٔ ما» في صور متعددة، منها استغلال النفوذ والعنف الاجتماعي والقهر داخل الأسرة.

وفي «أولاد حارتنا» يصف نجيب محفوظ حالة سكان الحارة تحت سلطة الفتوات بقوله: «أما الأهالي فتحت الأقدام... وإذا عجز مسكين عن أداء الإتاوة انتقم منه فتوة حيّه شرّ الانتقام» (نجيب محفوظ، ١٩٨٢، ٤٦).

يبين هذا الشاهد أن القهر لا يقع على شخص واحد، بل يشمل عامة الناس في الحارة. فالأهالي يعيشون تحت سلطة الفتوات، ومن يعجز عن دفع الإتاوة يتعرض للعقاب. ولذلك يرتبط الظلم هنا بعلاقة غير متساوية بين طرف يملك القوة وطرف لا يستطيع الدفاع عن نفسه. كما أن تكرار هذه الحالة في حياة الحارة يجعل القهر جزءًا من النظام الذي تعيش فيه الشخصيات.

أما في «كوچهٔ ما»، فيظهر القهر من خلال مواقف أقرب إلى الواقع اليومي. ومن ذلك ما يذكره الكاتب عن استغلال حاجي گگ لآغا: «مدت درازی است که حاجی‌گگ چون زالوی خون‌خواری، بر رگ گردن آغا نشسته و هر روز او را چه در خانه و چه در دکانش می‌دوشد و باج بروت می‌ستاند» (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/١٧٥).

أي: «منذ مدة طويلة، يجثم حاجي گگ كعلقة ماصّة للدماء على رقبة آغا، فيستغله كل يوم، سواء في بيته أم في دكانه، ويفرض عليه الإتاوات ويبتزه» (الباحث). وتبين صورة «العلقة الماصّة للدماء» أن العلاقة بين الشخصيتين تقوم على الاستغلال المستمر. فحاجي گگ لا يكتفي بممارسة نفوذه مرة واحدة، بل يستفيد من ضعف آغا بصورة متواصلة. وهنا يظهر القهر بوصفه جزءًا من العلاقة الاجتماعية التي تسمح للقوي باستغلال الضعيف. ومن خلال ذلك يمكن القول إن الروايتين تلتقيان في تصوير القهر بوصفه نتيجة لعلاقة بين القوة والضعف، لكن محفوظ يقدمه في إطار الحارة وبنائها الرمزي، بينما يقدمه أكرم عثمان في مواقف اجتماعية أقرب إلى الواقع الأفغاني.

٢. قضية الحرية

ترتبط الحرية في الروايتين بمقاومة الظلم ومحاولة الخروج من واقع القهر. فالإنسان لا يطلب الحرية من أجل نفسه فقط، بل تظهر الحرية كذلك من خلال الدفاع عن الحقوق ومحاولة تغيير الواقع. وفي «أولاد حارتنا» يظهر هذا المعنى في موقف جبل عندما يقول: «جئت مطالبًا بحقوق آل حمدان في الوقف وفي الحياة الآمنة» (نجيب محفوظ، ١٩٨٢، ١٢٠). يدل هذا القول على أن الحرية

ترتبط عند جبل بالحقوق وبالحياة الآمنة. فهو لا يقبل الواقع كما هو، بل يأتي مطالبًا بتغيير وضع قائم يرى فيه ظلمًا. ولذلك تظهر الحرية هنا مرتبطة بالفعل والمطالبة بالحق، وليس مجرد رغبة داخلية عند الشخصية. أما في «كوچهٔ ما»، فتأخذ الحرية علاقة أقوى بالنضال السياسي والتاريخ الأفغاني. وتقول زليخا في حديثها عن الذين ضحوا من أجل الحرية: «در وطن ما هم دليرانى با همين نام و آوازه سر بلند كردند كه يا در زندانها پوسيدند يا لقمه توپ شدند... آنها نيز در راه آزادى مردم جان و مال‌شان را فدا كردند» (أكرم عثمان، ۱۳۸۸، ۸۲/۱).

أي: «كان في وطننا أيضًا شجعان، فمنهم من بلي في السجون، ومنهم من قُتل، وقد ضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل حرية الشعب» (الباحث). يبين هذا الشاهد أن الحرية عند أكرم عثمان لا تظهر منفصلة عن التضحية والسجن والموت. فهي ترتبط بذاكرة سياسية وبأشخاص دفعوا ثمن مواقفهم. ولهذا تبدو الحرية في الرواية مرتبطة بصورة أوضح بتاريخ المجتمع الأفغاني وصراعاته السياسية. وهكذا تلتقي الروايتان في ربط الحرية بمقاومة الظلم، غير أن محفوظ يعرضها من خلال شخصيات تسعى إلى إصلاح واقع الحارة، بينما تظهر عند أكرم عثمان بصورة أقرب إلى النضال السياسي والتضحية في سبيل حرية الناس.

۳. قضية المعاناة الإنسانية

تظهر المعاناة في الروايتين نتيجة لظروف مختلفة، مثل الظلم والفقر والحرمان وفقدان الأمان. لكن طريقة الاهتمام بها تختلف؛ إذ يركز نجيب محفوظ في كثير من المواضع على ما تتركه المعاناة داخل نفس الشخصية، بينما يقترب أكرم عثمان أكثر من صور المعاناة الموجودة في المجتمع. ويظهر الجانب النفسي للمعاناة في «أولاد حارتنا» من خلال شخصية أدهم، إذ يقول السرد: «ولعلّ أدهم كان أشدّ إحساسًا منهم بهذا الفارق... ولعلّه عانى من ذلك أسىً مكتومًا وألمًا دفينًا» (نجيب محفوظ، ۱۹۸۲، ۱۵). يبين هذا الشاهد أن المعاناة عند أدهم مرتبطة بالشعور بالاختلاف عن الآخرين. فهو يقارن نفسه بإخوته، ويرى الفرق بين مكانة أمه ومكانة أمهم، مما يترك في نفسه حزنًا لا يظهر بصورة مباشرة للآخرين. ومن هنا يهتم محفوظ بما يحدث داخل الشخصية، وبالأثر النفسي الذي يتركه التمييز فيها. أما في «كوچهٔ ما»، فتظهر المعاناة في صورة اجتماعية أوضح، كما في كلام الطبيب محمودي عن الفقراء: «ديدن اين نيمرخ ملت، بسيار تماشايى است... با فقط دل‌سوزى نمى‌توان آنها را سير كرد. نه مى‌توان به دادشان رسيد و نه مى‌توان علاج‌شان كرد» (أكرم عثمان، ۱۳۸۸، ۱۲۸/۱). أي: «إن رؤية هذا الجانب من الشعب أمر يثير التفكير... لكن الشفقة وحدها لا تستطيع أن تشبعهم، فلا يمكن الوصول إلى حل لمشكلاتهم ولا معالجة معاناتهم بسهولة» (الباحث). ويظهر من هذا الكلام أن الكاتب لا يصور معاناة شخص واحد، بل يتحدث عن جماعة من الفقراء. كما أن الشعور بالشفقة لا يقدم حلًا لمشكلتهم، لأن سبب المعاناة أكبر من مساعدة فردية عابرة. ولهذا تصبح المعاناة هنا مرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه هؤلاء الناس. ومن خلال المقارنة يتبين أن المعاناة موجودة في الروايتين، لكن محفوظ يهتم أكثر في هذا الجانب بالأثر النفسي في الشخصية، بينما يعطي أكرم عثمان مساحة أكبر للمظاهر الاجتماعية التي يعيشها الإنسان في حياته اليومية.

٤. قضية الفقر

يظهر الفقر في الروايتين بوصفه مشكلة تؤثر في حياة الإنسان واستقراره، ولكنه لا يأتي في صورة واحدة. ففي «أولاد حارتنا» يرتبط الفقر في بعض المواضع بفقدان الحماية والموارد وبالظلم الذي تعيشه الحارة، بينما يظهر في «كوچهٔ ما» بصورة أقرب إلى التفاوت بين طبقات المجتمع. وفي «أولاد حارتنا» يظهر الفقر في حياة أدهم وأميمة بعد خروجهما من البيت الكبير، إذ يقول

السرد: «فقرر أدهم أن يبدأ بالسعي في سبيل رزقه... ليشتري بثمنها عربة يد لبيع البطاطة والملانة والخيار» (نجيب محفوظ، ١٩٨٢، ٣٨). يبين هذا الموقف التغير الذي وقع في حياة أدهم بعد فقدان المكان الذي كان يعيش فيه. فقد أصبح مضطرًا إلى العمل من أجل توفير حاجاته الأساسية. ولذلك لا يكون الفقر هنا مجرد قلة في المال، بل يرتبط بتغير حياة الشخصية ومكانتها وظروف عيشها. أما في «كوچهٔ ما»، فيظهر الفقر بصورة مرتبطة بالتفاوت الطبقي، كما في حديث محمودي عن الجسر الذي يفصل بين الأغنياء والفقراء: «هرچه از اين پل بالاتر برويم، به تنعم و رفاه بيشتر بر می‌خوريم و هر چه پايين‌تر بياييم به سياه روزی، مسكنت و بيچاره‌گی بيشتر بر می‌خوريم...» (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/١٢٩). أي: «فكلما صعدنا أعلى هذا الجسر وجدنا مزيدًا من النعيم والرفاه، وكلما نزلنا إلى الأسفل وجدنا مزيدًا من سوء الحال والمسكنة والبؤس» (الباحث).

ويعطي هذا الشاهد صورة واضحة عن الفرق بين الطبقات. فالمكان نفسه يكشف عن التفاوت الاجتماعي، ويصبح الجسر علامة تفصل بين حياة الأغنياء وحياة الفقراء. ولذلك يبدو الفقر هنا جزءًا من نظام اجتماعي توجد فيه مسافة واضحة بين فئات المجتمع. وهكذا يلتقي الكاتبان في تصوير أثر الفقر في حياة الإنسان، لكن الفقر عند محفوظ يرتبط أكثر بفقدان الحماية والموارد وبالظلم داخل الحارة، في حين يرتبط عند عثمان بالتفاوت الطبقي والظروف الاجتماعية التي يعيشها الناس.

قضية اليأس

يظهر اليأس في الروايتين عندما تشعر الشخصيات بأن قدرتها على تغيير الواقع أصبحت ضعيفة أو عندما تفقد الأمان وما كانت تعتمد عليه. ولذلك يرتبط اليأس في كثير من الأحيان بالظلم والعجز وتراكم المعاناة. وفي «أولاد حارتنا» يظهر هذا المعنى في خروج أدهم وأميمة من البيت الكبير: «فُتح باب البيت الكبير ليشهد هذه المرة خروج أدهم وأميمة مطرودين» (نجيب محفوظ، ١٩٨٢، ٣٥–٣٦). لا يمثل هذا الخروج انتقالًا من مكان إلى مكان فقط، لأن أدهم وأميمة يفقدان معه الحماية والاستقرار اللذين كانا يتمتعان بهما. ولذلك تبدأ مرحلة جديدة من حياتهما فيها صعوبة وعدم معرفة بما ينتظرهما، وهو ما يعطي المشهد معنى الحزن وفقدان الأمان. أما في «كوچهٔ ما»، فيظهر اليأس بصورة أوسع في كلام أمين: «ما يک دشمن نداريم. از خود و بيگانه ما ره سنگ‌باران می‌كنه» (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/٢٦٩).

أي: «ليس لنا عدو واحد، فالقريب والغريب يرجموننا بالحجارة» (الباحث).

وتبين هذه العبارة أن شخصية أمين تشعر بأنها تواجه الضغوط من جهات كثيرة. وهذا الشعور لا يدل على وجود مشكلة واحدة فقط، بل على الإحساس بأن الإنسان أصبح محاصرًا ولا يعرف من أين تأتيه الضربة. ومن هنا يظهر اليأس نتيجة لتعدد مصادر القهر والضغط. وبذلك يتضح أن اليأس في الروايتين يرتبط بفقدان الأمان والعجز أمام الواقع، إلا أن محفوظ يقدمه بصورة أقرب إلى تجربة الشخصية وما يحدث في حياتها، بينما يظهر عند أكرم عثمان في بعض المواضع بوصفه شعورًا ناتجًا عن واقع اجتماعي وسياسي معقد.

المطلب الثاني: القضايا التي تميّزت بها كل رواية في المعالجة

على الرغم من أن روايتي «أولاد حارتنا» و«كوچهٔ ما» تلتقيان في معالجة عدد من القضايا الإنسانية، فإن الدراسة المقارنة بينهما تبين أن بعض القضايا تأخذ في إحدى الروايتين حضورًا أوسع أو صورة تختلف عن حضورها في الرواية الأخرى. والمقصود هنا ليس أن قضية العدالة، مثلًا، غائبة عن «كوچهٔ ما»، أو أن السجن والتمييز لا وجود لهما في «أولاد حارتنا»، وإنما المقصود أن بعض

القضايا أصبحت أكثر وضوحًا ومركزية في إحدى الروايتين بسبب طبيعة موضوعها وبيئتها والبناء الذي اختاره الكاتب. ومن هذه القضايا العدالة في «أولاد حارتنا»، والسجن والتعذيب والتمييز الاجتماعي في «كوچهٔ ما».

۱. قضية العدالة في «أولاد حارتنا»

تظهر العدالة في «أولاد حارتنا» بوصفها من القضايا المرتبطة بالصراع بين الظلم والحق، ولا تقف عند معنى واحد، بل تتصل في بعض المواضع بالعقوبة، وفي مواضع أخرى باستعادة الحقوق ورفع الحرمان. ولذلك تأخذ هذه القضية مكانًا مهمًا في مسار الشخصيات التي تحاول تغيير واقع الحارة. ويظهر هذا المعنى في موقف أدهم بعد قتل قدري لأخيه همام، إذ يقول: «هل تذهب هذه الروح هدرًا؟ لا ينبغي أن تحيا، هذه هي العدالة» (نجيب محفوظ، ۱۹۸۲، ۷۰). يدل هذا القول على أن العدالة ترتبط عند أدهم بعدم إضاعة حق المظلوم ومحاسبة من ارتكب الجريمة. فموت همام لا يمكن، في نظره، أن يصبح أمرًا عاديًا يمر دون مسؤولية. ومن هنا تظهر العدالة بوصفها موقفًا من الظلم والاعتداء، وليس مجرد فكرة تذكرها الشخصيات في كلامها.

ويأخذ مفهوم العدالة صورة أخرى في موقف قاسم، حين يتحدث عن حق النساء في ريع الوقف، فيقول: «إذا نصرني المولى فلن أحرم النساء من ريع الوقف» (نجيب محفوظ، ۱۹۸۲، ۲۲٦). ويكشف هذا الموقف عن جانب آخر من القضية، لأن العدالة هنا لا ترتبط بمعاقبة المعتدي، وإنما بإعطاء الحق لمن حُرم منه. ولذلك يمكن أن نلاحظ أن الرواية تربط العدالة من جهة بالمحاسبة، ومن جهة أخرى بإزالة الحرمان وإعادة الحقوق إلى أصحابها. ومن خلال هذين الشاهدين يتبين أن العدالة في «أولاد حارتنا» تتجاوز الحادثة الفردية، وترتبط بصورة أوسع بمحاولة مواجهة الظلم وإصلاح الواقع. وهذا ما يجعل حضورها في الرواية أكثر اتصالًا بمسار الشخصيات التي تظهر في الحارة وتدخل في صراع من أجل تغيير أوضاعها.

۲. قضية السجن والتعذيب في «كوچهٔ ما»

يظهر السجن والتعذيب في «كوچهٔ ما» بصورة أوضح من ارتباطهما بحادثة عابرة، لأنهما يدخلان في تصوير الواقع السياسي الذي عاشه المجتمع الأفغاني. فالشخصيات لا تواجه السجن بوصفه مكانًا للاحتجاز فقط، بل تواجه ما يتركه من خوف وذكريات وآثار نفسية وجسدية. ومن الأمثلة على ذلك شخصية آغا، الذي تعود به الذاكرة إلى تجربة السجن بعد خروجه منه، إذ يقول السرد: «با این سؤال، باز دفتر خاطرات آغا ورق می‌خورد و به سرعت برق چرت‌هایش به روزهایی پَر می‌کشد که تازه از زندان رها شده بود...» (أكرم عثمان، ۱۳۸۸، ۱٦٦/۱). أي: «وبهذا السؤال تنفتح صفحات ذكريات آغا من جديد، فتعود به خواطره سريعًا إلى الأيام التي أُفرج عنه فيها حديثًا من السجن» (الباحث).

ولا يقف هذا المشهد عند ذكر السجن في حياة الشخصية، بل يبين أن التجربة تستمر بعد الخروج منه؛ لأن الماضي يعود إلى الذاكرة، وتبقى آثاره مرتبطة بالحالة النفسية للشخصية. وهكذا يصبح السجن تجربة لا تنتهي عند باب السجن، وإنما تستمر في حياة الإنسان بعد ذلك.

أما التعذيب، فيظهر في تجربة أمين الذي يتعرض للصعق بالكهرباء والضرب والجلد، فيقول السرد: «امین... از دزدی روغن تا برق‌دادن تا اعتراض خودش و شلاق‌کاری همه را برای محمودی قصه می‌کند و او را بی‌اندازه حیرت‌زده می‌سازد» (أكرم عثمان، ۱۳۸۸، ۱۲۳/۱). أي: «يقص أمين على محمودي كل ما جرى له، من سرقة الزيت إلى صعقه بالكهرباء، ثم اعتراضه وما تبعه من جلد وضرب، مما يثير دهشة الطبيب إلى حد كبير» (الباحث). ويبين هذا الشاهد أن العنف لا يقع على الشخصية بصورة

منفصلة عن موقفها، بل يرتبط باعتراضها ومواجهتها للظلم. ومن هنا يظهر التعذيب في الرواية بوصفه أثرًا من آثار القمع، ويصبح الجسد نفسه حاملًا لآثار تلك التجربة. وبذلك يتضح أن السجن والتعذيب في «كوچهٔ ما» يساعدان الكاتب على تصوير جانب من العلاقة الصعبة بين الإنسان والسلطة، وعلى بيان ما يتركه القمع من آثار في النفس والجسد.

٣. قضية التمييز الاجتماعي في «كوچهٔ ما»

لا يظهر التمييز في «كوچهٔ ما» في صورة واحدة، بل يتجاوز الفرق الاقتصادي بين الأغنياء والفقراء إلى صور أخرى مرتبطة بالمكانة الاجتماعية والعلاقات داخل الأسرة. وهذا ما يجعل معالجة أكرم عثمان لهذه القضية أكثر اتصالًا بتفاصيل الحياة اليومية. ويظهر التفاوت الطبقي بصورة واضحة في كلام الطبيب محمودي عن الجسر، إذ يقول: «سرحدات دیگر ما مرزهای طبقات اجتماعی است که شما پیشتر اجزایش را نام بردید و این پل قدیمی هم، سرحد بین اغنیا و فقرا است. هرچه از این پل بالاتر برویم، به تنعم و رفاه بیشتر بر می‌خوریم و هر چه پایین‌تر بیاییم به سیاه روزی، مسکنت و بیچاره‌گی بیشتر بر می‌خوریم...» (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/١٢٩). أي: «إن حدودنا الأخرى هي حدود الطبقات الاجتماعية... وهذا الجسر القديم هو أيضًا الحد الفاصل بين الأغنياء والفقراء؛ فكلما صعدنا أعلى الجسر واجهنا مزيدًا من النعيم والرفاه، وكلما نزلنا إلى الأسفل واجهنا مزيدًا من سوء الحال والمسكنة والبؤس» (الباحث).

ولا يصف هذا الكلام الفقر والغنى فقط، بل يجعل المكان نفسه صورة للفارق بين الطبقات. فالجسر يصبح حدًا يفصل بين نمطين مختلفين من الحياة، ويعطي التفاوت الاجتماعي صورة محسوسة داخل فضاء المدينة.

وتظهر صورة أخرى للتمييز في حياة أمين داخل الأسرة، إذ يشعر منذ طفولته بوجود فرق بينه وبين الأطفال الآخرين في البيت، فيقول السرد: «از همین باعث امین از همان نخستین سال‌های بچگی، وقتی که دست چپ و راستش را شناخت، حس کرد که ما بین او و دیگر بچه‌های هم‌قدش در خانه خط روشن سرخی وجود دارد که او نمی‌تواند از آن بگذرد» (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/٤٥).

أي: «ولهذا السبب شعر أمين منذ السنوات الأولى من طفولته، حين عرف يمينه من شماله، بأن بينه وبين الأطفال الآخرين من أبناء البيت خطًا أحمر واضحًا لا يستطيع تجاوزه» (الباحث).

ويكشف هذا الشاهد أن التمييز يمكن أن يكون تجربة يعيشها الإنسان في محيطه الأسري قبل أن يواجه صور التفاوت الموجودة في المجتمع. فالخط الذي يشعر أمين بوجوده بينه وبين الآخرين ليس حاجزًا ماديًا، ولكنه يعبر عن اختلاف في المعاملة والمكانة، ويترك أثرًا في وعيه منذ مرحلة مبكرة. ومن خلال هذين النموذجين يتبين أن أكرم عثمان لا يحصر التمييز في الجانب الاقتصادي، بل يقدمه كذلك من خلال العلاقات الاجتماعية والأسرية. ولذلك تأخذ هذه القضية في «كوچهٔ ما» صورة متعددة الجوانب، وترتبط بالواقع الذي تعيشه الشخصيات في المجتمع والأسرة معًا. وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن اختلاف الروايتين في هذه القضايا لا يعني انفراد إحداهما بها انفرادًا كاملًا، وإنما يتعلق بدرجة حضور القضية وطريقة بنائها داخل الرواية. فالعدالة في «أولاد حارتنا» ترتبط بصورة أوضح بمسار مواجهة الظلم واستعادة الحقوق، بينما يرتبط السجن والتعذيب والتمييز في «كوچهٔ ما» بواقع سياسي واجتماعي يظهر بصورة أكثر مباشرة في حياة الشخصيات.

على الرغم من اشتراك الروايتين في عدد من القضايا الإنسانية الكبرى، فإن المقارنة الدقيقة تكشف عن اختلاف في درجة حضور بعض القضايا وفي موقعها داخل البناء الروائي، فضلًا عن اختلاف الطريقة الفنية التي عالج بها كل كاتب هذه القضايا.

ولذلك لا يُقصد بانفراد إحدى الروايتين بقضية معينة أنها خلت منها الرواية الأخرى خلوًّا تامًّا، وإنما المقصود أن القضية جاءت في إحدى الروايتين أكثر مركزية ووضوحًا، أو اتخذت فيها معالجة خاصة تميزها عن الرواية الأخرى. ومن أبرز النماذج الدالة على ذلك: العدالة في «أولاد حارتنا»، والسجن والتعذيب والتمييز الطبقي في «كوچهٔ ما».

المبحث الثالث: المقارنة بين الروايتين من حيث البناء الفني

لا تكتمل دراسة القضايا الإنسانية في العمل الروائي بالنظر إلى مضمونها وحده، وإنما تقتضي الوقوف على الوسائل الفنية التي اعتمدها الروائي في تشكيل هذه القضايا وتقديمها؛ لأن بناء الشخصيات، وتنظيم الأحداث، وتوظيف الزمن والمكان، واختيار الراوي وطبيعة اللغة والحوار، فضلًا عن الرمزية والواقعية، كلها عناصر تسهم في إنتاج الدلالة وتحديد خصوصية التجربة الروائية. ومن ثم، فإن المقارنة الفنية بين روايتي «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ و«كوچهٔ ما» لأكرم عثمان لا تهدف إلى وصف خصائص كل رواية بصورة منفصلة، وإنما تسعى إلى الكشف عن الكيفية التي أسهم بها البناء الفني في تشكيل الرؤية الإنسانية والاجتماعية لدى كل كاتب. وعلى هذا الأساس، تتناول المقارنة في هذا الفصل البناء السردي والزمني والمكاني، والأسلوب واللغة والحبكة والراوي، ثم الشخصيات، وأخيرًا الرمزية والواقعية، مع الاستناد إلى الشواهد النصية كلما كان الحكم النقدي بحاجة إلى دليل، بحيث لا تكون النتيجة مجرد انطباع نقدي، بل نتيجة تستند إلى مؤشرات فنية قابلة للملاحظة في النصين.

١. البناء السردي والزمني والمكاني

تختلف الروايتان في الطريقة التي تنتظم بها الأحداث داخل الزمن الروائي وفي طبيعة الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات. ويكشف هذا الاختلاف عن تباين واضح في الرؤية الفنية؛ إذ يميل نجيب محفوظ إلى بناء رمزي يقوم على تعاقب الأجيال وتكرار الصراع داخل الحارة، بينما يميل أكرم عثمان إلى بناء واقعي تاريخي يتتبع تحولات المجتمع الأفغاني من خلال امتداد زمني واسع وكثرة الأحداث والشخصيات. تقوم رواية «أولاد حارتنا» على بناء متتابع يتشكل من خمس حكايات رئيسة، تبدأ بقصة أدهم، ثم تنتقل إلى جبل ورفاعة وقاسم وعرفة. وعلى الرغم من استقلال كل مرحلة نسبيًا من حيث شخصياتها وأحداثها، فإنها ترتبط جميعًا بنواة سردية وفكرية واحدة، تتمثل في الصراع المستمر بين أهل الحارة والفتوات، وفي محاولة الشخصيات الإصلاحية تغيير واقع الظلم. ولذلك لا يبدو الانتقال من قصة إلى أخرى انقطاعًا تامًا في السرد، بل انتقالًا إلى مرحلة جديدة من الصراع نفسه. ويتضح هذا البناء في تعاقب الشخصيات الإصلاحية؛ فبعد أدهم يأتي جبل، ثم رفاعة، فقاسم، ثم عرفة، بحيث تتجدد محاولات مواجهة الظلم مع تغير الشخصيات والظروف. وهذا التعاقب يمنح الرواية نوعًا من الاستمرار الداخلي، لأن الأحداث الجديدة تستعيد بعض الأنماط السابقة وتعيد تشكيلها في ظروف مختلفة. ومن ثم، فإن التكرار في الرواية ليس تكرارًا للأحداث نفسها بصورة آلية، وإنما هو تكرار فني لنمط الصراع، مع اختلاف الشخصيات ووسائل المواجهة ونتائجها.

ويظهر هذا التدرج كذلك في بناء قضية العدالة؛ فهي تبدأ مرتبطة بفكرة الاستحقاق في اختيار أدهم، ثم تظهر في موقفه من جريمة قتل همام، ثم تتسع في تجربة قاسم لتشمل إعادة الحقوق، وتبلغ مستوى أكثر شمولًا في تصور عرفة لإصلاح نظام الوقف وتحقيق العدالة. ومن ثم، فإن الزمن الروائي لا يؤدي وظيفة ترتيب الأحداث فحسب، بل يسهم في إظهار تطور الأفكار والقضايا عبر الأجيال. كما أن الزمن في «أولاد حارتنا» يتخذ طابعًا دوريًا؛ فغياب الشخصية الإصلاحية لا يعني نهاية الصراع، وإنما يؤدي إلى عودته في صورة جديدة. ولذلك يمكن القول إن الزمن هنا زمن متكرر ودال، تتحول فيه الحوادث المتعاقبة إلى حلقات ضمن

مسار واحد، وهو ما يعزز الوحدة الفكرية للرواية. أما «كوچهٔ ما»، فتقوم على بناء أكثر اتساعًا، يعتمد على تتبع حياة الشخصيات والتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها المجتمع الأفغاني. ولذلك يمتد الزمن الروائي عبر مراحل تاريخية متعددة، وتتداخل الأحداث الخاصة بالشخصيات مع الأحداث العامة التي عرفتها البلاد. ويمنح هذا الامتداد الرواية قدرة على تصوير المجتمع في حالة تحول مستمر، لكنه في الوقت نفسه يفرض على البناء الروائي التعامل مع عدد كبير من الأحداث والشخصيات والوقائع. ومن الشواهد الدالة على اتساع هذا البناء أن الرواية لا تكتفي بمتابعة الحياة الخاصة للشخصيات، وإنما تربطها بالتحولات السياسية والاجتماعية، وتستحضر أسماء وأحداثًا مرتبطة بتاريخ أفغانستان. كما يظهر تفاوت المعرفة بين مركز البلاد وأطرافها في السرد الذي يقول إن بعض سكان المناطق البعيدة في غور وهزاره‌جات وبدخشان ونورستان كانوا لا يزالون يجهلون وصول ظاهر شاه إلى الحكم، ويعتقدون أن أمان الله خان ما يزال ملكًا (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/ ١٩٠). وهذا الشاهد لا يؤدي وظيفة تاريخية فحسب، وإنما يكشف أيضًا عن اتساع المجال الزمني والاجتماعي الذي تتحرك فيه الرواية. ومن الناحية المكانية، تختلف طبيعة الفضاء الروائي بين العملين. فالحارة في «أولاد حارتنا» مكان محدد من الناحية الجغرافية، لكنها تتجاوز حدود المكان الواقعي لتصبح نموذجًا مصغرًا للمجتمع الإنساني. وتتحرك داخلها الشخصيات في فضاء واحد تتكرر فيه علاقات القوة والضعف، مما يساعد على تثبيت البنية الرمزية للرواية.

أما في «كوچهٔ ما»، فإن المكان أكثر اتصالًا بالواقع الجغرافي والاجتماعي؛ إذ تتحرك الشخصيات بين أحياء كابل ومناطقها، وبين المركز والأطراف، ويصبح المكان وسيلة للكشف عن الفوارق الاجتماعية والاقتصادية. ويبرز ذلك بصورة واضحة في حديث محمودي عن الجسر الذي يفصل بين الأغنياء والفقراء، حيث يقول: «سرحدات ديگر ما مرزهای طبقات اجتماعی است... این پل قدیمی هم، سرحد بین اغنیا و فقرا است. هرچه از این پل بالاتر برویم، به تنعم و رفاه بیشتر بر می‌خوریم و هر چه پایین‌تر بیاییم به سیاه روزی، مسکنت و بیچاره‌گی بیشتر بر می‌خوریم...» (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/ ١٢٩).

«إنّ حدودنا الأخرى هي حدود الطبقات الاجتماعية... وهذا الجسر القديم هو أيضًا الحدّ الفاصل بين الأغنياء والفقراء؛ فكلما صعدنا أعلى هذا الجسر، وجدنا مزيدًا من النعيم والرفاه، وكلما نزلنا إلى أسفل، واجهنا مزيدًا من سوء الحال والمسكنة والبؤس» (الباحث). فالفضاء المكاني هنا يتحول إلى أداة فنية للكشف عن التفاوت الطبقي؛ فالصعود والنزول في المكان يقابلان الصعود والنزول في السلم الاجتماعي. وبذلك لا يكون المكان مجرد خلفية للأحداث، وإنما يشارك في إنتاج معناها. وعليه، فإن الفرق بين الروايتين لا يكمن في حضور الزمن والمكان فقط، وإنما في الوظيفة الفنية التي يؤديها كل منهما. فالزمن في «أولاد حارتنا» يخدم البناء الرمزي الدائري وتكرار الصراع عبر الأجيال، والمكان يتحول إلى نموذج رمزي للمجتمع، بينما يعمل الزمن في «كوچهٔ ما» على تتبع التحولات التاريخية والاجتماعية، ويعمل المكان على تثبيت الأحداث داخل بيئة أفغانية محددة وإظهار الفوارق بين الفئات والمناطق. أما الحكم على تماسك بناء «كوچهٔ ما» فلا ينبغي أن يقوم على الانطباع وحده، وإنما يمكن النظر إليه من خلال مجموعة من المؤشرات الفنية، أهمها ترابط الحبكة، ووظائف الشخصيات، والإيقاع السردي، ومدى استمرار الخيوط السردية، وطبيعة الانتقالات الزمنية. وبالنظر إلى هذه المؤشرات، يظهر أن اتساع الرواية وكثرة أحداثها وشخصياتها يؤديان في بعض المواضع إلى إبطاء الحركة السردية والانتقال من متابعة المسار الخاص للشخصيات إلى عرض الأحداث العامة والتفاصيل التاريخية. غير أن ذلك لا يعني انهيار البناء أو فقدانه التماسك بصورة مطلقة، بل يشير إلى تفاوت في درجة التركيز السردي؛ فالأجزاء الأولى تبدو أكثر ارتباطًا بمسارات الشخصيات، في حين تزداد في المراحل اللاحقة مساحة الأحداث العامة وتعدد الشخصيات والخيوط السردية،

الأمر الذي يجعل الإيقاع أقل تركيزًا وأكثر امتدادًا. ومن ثم، فالأدق نقديًا القول إن البناء في «كوچهٔ ما» يميل في بعض مراحله المتأخرة إلى الاتساع والاستطراد على حساب التكثيف السردي، بدل إطلاق حكم مطلق بضعف البناء. وبذلك يتضح أن «أولاد حارتنا» تتميز بوحدة بنائية ناتجة عن تكرار نموذج الصراع داخل فضاء محدود، في حين تتميز «كوچهٔ ما» بالاتساع التاريخي والاجتماعي وتعدد الخيوط السردية؛ فتكون الأولى أكثر تكثيفًا ووحدة، بينما تكون الثانية أكثر امتدادًا وتشعبًا.

٢. الأسلوب واللغة والحبكة والراوي

يختلف الأسلوب في الروايتين تبعًا لاختلاف طبيعة العالم الروائي الذي يبنيه كل كاتب. ففي «أولاد حارتنا» يعتمد نجيب محفوظ على لغة تبدو في ظاهرها بسيطة ومباشرة، لكنها تحمل دلالات رمزية وفكرية تتجاوز الحدث الظاهر. ولذلك لا يشرح الكاتب جميع الدلالات للقارئ، وإنما يترك للشخصيات والأحداث والحوار أن تنتج معناها. ويظهر ذلك في الحوارات القصيرة التي تتضمن أفكارًا تتصل بالسلطة والعدالة والحرية. فقول جبل: «جئت مطالبًا بحقوق آل حمدان في الوقف وفي الحياة الآمنة» (نجيب محفوظ، ١٩٨٢، ١٢٠)، يبدو في ظاهره مطلبًا مباشرًا، لكنه داخل البناء الروائي يربط بين الحق والحرية والأمن، ويجعل الحوار وسيلة للكشف عن موقف الشخصية من الواقع الذي تعيش فيه. وتتصف لغة محفوظ كذلك بالاقتصاد؛ فهو لا يطيل في وصف التفاصيل عندما لا تكون ضرورية لبناء الدلالة، وإنما يركز على الحدث والشخصية والحوار. ولذلك تتناسب اللغة مع الطبيعة الرمزية للرواية، إذ يسمح الاقتصاد اللغوي بتكثيف الدلالة وإبقاء مساحة للتأويل. في المقابل، تميل لغة أكرم عثمان في «كوچهٔ ما» إلى التفصيل والوصف، وتقترب من لغة الحياة اليومية والبيئة الشعبية الأفغانية. ويظهر ذلك في كثرة الحوارات والوصف الاجتماعي والسياسي، وفي توظيف الأمثال والتعابير المحلية. ويمنح هذا الأسلوب الرواية قدرة على إعادة تشكيل البيئة الأفغانية من الداخل، لكنه يؤدي في بعض المواضع إلى امتداد السرد وتراجع درجة التكثيف. ويتضح الفرق بين الأسلوبين أيضًا في طريقة تقديم المعلومات. ففي «أولاد حارتنا» تأتي المعلومات غالبًا ضمن الأحداث والعلاقات الرمزية بين الشخصيات، بينما يميل أكرم عثمان في مواضع متعددة إلى تقديم خلفيات اجتماعية وسياسية وتاريخية تساعد القارئ على فهم البيئة الروائية. وهذا ما يمنح «كوچهٔ ما» طابعًا توثيقيًا أكثر وضوحًا. ومن حيث الحبكة، تقوم «أولاد حارتنا» على نمط متكرر ولكنه مترابط؛ إذ تتغير الشخصيات، غير أن البنية الأساسية للصراع تبقى قائمة. فظهور جبل ورفاعة وقاسم وعرفة يمثل مراحل متعاقبة في مواجهة الواقع نفسه، مع اختلاف الوسائل والنتائج. ويمنح هذا التكرار الحبكة نوعًا من الوحدة الداخلية. أما حبكة «كوچهٔ ما» فتتصف بالامتداد والتشعب؛ لأنها تجمع بين المسار الشخصي للشخصيات والمسار السياسي والاجتماعي العام. ويؤدي ذلك إلى تداخل عدد كبير من الأحداث والشخصيات، بحيث لا تتقدم الحبكة دائمًا في خط واحد، وإنما تتفرع بحسب التحولات التي يشهدها المجتمع.

ومن حيث الراوي، يهيمن في «أولاد حارتنا» راوٍ عليم يملك معرفة واسعة بالأحداث والشخصيات، لكنه لا يقدم تفسيرًا مباشرًا لكل رمز، الأمر الذي يترك مساحة للتأويل. ولذلك يتناسب حضور الراوي مع طبيعة الرواية الرمزية التي تعتمد على الإيحاء أكثر من الشرح. أما في «كوچهٔ ما»، فإن الراوي أكثر حضورًا في عرض الخلفيات والتعليق على الأحداث وربط الوقائع الخاصة بالسياق الاجتماعي والسياسي العام. ويسهم هذا الحضور في منح الرواية طابعًا توثيقيًا، لكنه يفسر كذلك اتساع المساحة السردية وتفاوت الإيقاع في بعض المواضع. ومن ثم، فإن الفرق الأسلوبي بين الروايتين يرتبط بوظيفته الفنية؛ فمحفوظ يميل إلى الاقتصاد والإيحاء

والتكثيف، بينما يميل أكرم عثمان إلى الوصف والتفصيل والتفسير. ولا يعني ذلك أن لغة الأول تخلو من الواقعية أو أن لغة الثاني تخلو من الرمزية، وإنما يشير إلى الاتجاه الغالب في استخدام اللغة والسرد لدى كل منهما.

٣. الشخصيات

تختلف طبيعة الشخصيات في الروايتين اختلافًا واضحًا؛ ففي «أولاد حارتنا» تؤدي الشخصية وظيفة مزدوجة: فهي كائن داخل العالم الروائي، وفي الوقت نفسه تحمل دلالة رمزية وفكرية تتجاوز فرديتها. ولهذا تبدو شخصيات الجبلاوي وأدهم وجبل ورفاعة وقاسم وعرفة مرتبطة بمسار فكري يتجاوز تفاصيل حياتها الخاصة.

ولا يعني ذلك أن الشخصيات خالية من الأبعاد الإنسانية، وإنما إن وظيفتها الرمزية تظل عنصرًا أساسيًا في تشكيلها. فأدهم مثلًا لا يظهر بوصفه فردًا يعيش تجربة شخصية فقط، وإنما تتحول تجربته إلى بداية لمسار متكرر من الصراع داخل الحارة. وكذلك تتجاوز شخصيات جبل ورفاعة وقاسم وعرفة حدود أدوارها الفردية لتشارك في تشكيل المسار الفكري للرواية. ويظهر التطور في الشخصية أحيانًا من خلال انتقالها من حالة إلى أخرى. فأدهم بعد خروجه من البيت الكبير يبدأ حياة مختلفة مع أميمة، ويبحث عن وسيلة للرزق، حتى يقرر شراء عربة لبيع البطاطا والملانة والخيار (نجيب محفوظ، ١٩٨٢، ٣٨). ويكشف هذا الانتقال عن تحول في الوضع الاجتماعي للشخصية، لكنه في الوقت نفسه يخدم بناء الصراع بين الامتياز السابق والحياة الجديدة. أما في «كوجة ما»، فتبدو الشخصيات أكثر ارتباطًا بالبيئة الاجتماعية والتاريخية. فشخصية أمين، مثلًا، تتشكل تدريجيًا من خلال علاقاتها الأسرية والاجتماعية والسياسية، ويؤثر اختلاف وضعه داخل الأسرة في وعيه بذاته منذ طفولته؛ إذ يقول السرد إن بينه وبين الأطفال الآخرين في البيت «خطًا أحمر واضحًا» لا يستطيع تجاوزه (أكرم عثمان، ١٣٨٨، ١/٤٥). وتكشف هذه الصورة عن أثر البيئة الاجتماعية في تكوين الشخصية، بحيث يصبح التمييز جزءًا من خبرتها النفسية المبكرة. كما يتطور أمين من خلال علاقاته بموسى اليهودي وآغا والطبيب محمودي وغيرهم، ومن خلال احتكاكه بالواقع السياسي والاجتماعي. ولذلك تبدو الشخصية عند أكرم عثمان جزءًا من شبكة اجتماعية واسعة، وتتطور بفعل الأحداث التي تمر بها البلاد وبفعل علاقاتها بالآخرين. وتتميز «كوجة ما» كذلك بكثرة الشخصيات وتنوعها، بما فيها الشخصيات النسائية مثل عالية وزليخا. وتؤدي هذه الشخصيات أدوارًا في تشكيل الأحداث وتوسيع المجال الاجتماعي للرواية. غير أن كثرة الشخصيات قد تؤدي في بعض المواضع إلى تفاوت في قوة الوظيفة السردية؛ فبعض الشخصيات تتقدم في مرحلة معينة ثم يتراجع حضورها عندما تنتقل الرواية إلى خيط سردي آخر. وهنا يظهر الفرق بين الروايتين: فمحفوظ يعتمد على عدد أكثر محدودية من الشخصيات ذات الوظائف الرمزية الواضحة، بينما يبني أكرم عثمان شبكة أوسع من الشخصيات التي تمثل طبقات واتجاهات وبيئات اجتماعية متعددة. ومن ثم، فإن كثرة الشخصيات في «كوجة ما» تمنح الرواية قدرة أكبر على تصوير المجتمع، لكنها تجعل المحافظة على التركيز في وظائف الشخصيات أكثر صعوبة. وعليه، يمكن القول إن الشخصية عند محفوظ تميل إلى التكثيف الرمزي، بينما تميل عند أكرم عثمان إلى التشكيل الاجتماعي والتاريخي. فالأولى تؤدي وظيفة داخل نموذج فكري متكرر، والثانية تتحرك داخل شبكة واسعة من العلاقات والأحداث.

٤. الرمزية والواقعية

تتفق الروايتان في الإفادة من الواقع والرمز، إلا أن درجة حضور كل منهما ووظيفته تختلفان اختلافًا واضحًا. ولذلك لا يصح النظر إلى الروايتين على أساس الفصل التام بين الواقعية والرمزية، بل الأدق تحديد الاتجاه الغالب في كل منهما. تقوم «أولاد حارتنا» بدرجة كبيرة على البناء الرمزي؛ فالحارة، والبيت الكبير، والفتوات، والشخصيات الإصلاحية، والأحداث المتكررة، كلها

تتجاوز وظيفتها المباشرة لتنتج دلالات أوسع. فالحارة ليست مجرد مكان تجري فيه الأحداث، وإنما تصبح نموذجًا للمجتمع، كما يتحول الصراع بين الفتوات والأهالي إلى نموذج لعلاقة القوة بالضعف والظلم بالعدل. ويظهر هذا الطابع الرمزي في تعاقب الشخصيات الإصلاحية؛ فكل شخصية تدخل الحارة وهي تحمل مشروعًا لمقاومة الظلم أو إصلاح الواقع، ثم يتجدد الصراع بعد غيابها. وهكذا تتحول الأحداث إلى بنية دائرية تتجاوز حدود الشخصيات الفردية. ومع ذلك، فإن الرمزية عند محفوظ لا تلغي الواقع الاجتماعي؛ فمشاهد الإتاوة والاعتداء والفقر وعلاقات السلطة تستند إلى صور اجتماعية قابلة للتعرف، مثل قول السرد: «أما الأهالي فتحت الأقدام... وإذا عجز مسكين عن أداء الإتاوة انتقم منه فتوة حيّه شرّ الانتقام» (نجيب محفوظ، ۱۹۸۲، ٤٦). فالمشهد واقعي في صورته الاجتماعية، لكنه يدخل داخل بنية رمزية أوسع. أما أكرم عثمان، فيغلب على روايته الاتجاه الواقعي الاجتماعي والتاريخي؛ إذ ترتبط الأحداث بأوضاع المجتمع الأفغاني وتحولاته السياسية والاجتماعية. وتظهر الشخصيات والأحداث في بيئة محددة، وتدخل الوقائع التاريخية في تشكيل العالم الروائي.

ومع ذلك، لا تخلو «كوچهٔ ما» من الرمزية. فقد صرح أكرم عثمان في مقدمة الرواية بأنه لجأ إلى الأسماء المستعارة والصور الرمزية عند تقديم بعض الشخصيات، فقال: «ومن هذا المنطلق، التجأتُ إلى استخدام أسماء مستعارة عند تقديم بعض شخصيات هذه الرواية، وجعلتُ الصور الرمزية بديلًا عن النماذج المعروفة والمكشوفة» (أكرم عثمان، ۱۳۸۸، ۱/ ۱۰). ويكشف هذا التصريح عن وعي الكاتب بالوظيفة الرمزية، غير أن الرمز لديه لا يهيمن على البناء كله كما هو الحال في «أولاد حارتنا». ومن الأمثلة الدالة على تداخل الواقعية بالرمزية في «كوچهٔ ما» صورة الجسر التي وردت في حديث محمودي عن الفوارق بين الأغنياء والفقراء؛ فالجسر مكان واقعي، لكنه يتحول في السياق إلى رمز للحدود الطبقية. وبذلك يجمع الكاتب بين التعيين الواقعي والدلالة الرمزية. وعليه، فإن الفارق بين الروايتين لا يتمثل في وجود الرمز في إحداهما وغيابه في الأخرى، وإنما في درجة هيمنة الرمز ووظيفته. فالرمزية في «أولاد حارتنا» عنصر أساسي في بناء الرواية وإنتاج دلالتها، بينما تأتي الرمزية في «كوچهٔ ما» داخل بناء يغلب عليه الواقع الاجتماعي والتاريخي. ومن هنا يمكن وصف «أولاد حارتنا» بأنها رواية يغلب عليها البناء الرمزي مع حضور واضح للواقعية الاجتماعية، في حين توصف «كوچهٔ ما» بأنها رواية يغلب عليها البناء الواقعي الاجتماعي والتاريخي مع توظيف جزئي للرمز والإيحاء. وهذه الصياغة أدق من الفصل الحاد بين المذهبين؛ لأن النصين يستفيدان من الواقعية والرمزية بدرجات مختلفة.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم–، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد تناولت هذه الدراسة القضايا الإنسانية في روايتي «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ و«كوچهٔ ما» لأكرم عثمان، من خلال دراسة أهم القضايا التي ظهرت في الروايتين، ثم المقارنة بين طريقة معالجة كل كاتب لهذه القضايا، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما. وقد أظهرت الدراسة أن الروايتين، على الرغم من اختلاف لغتهما وبيئتهما وظروفهما التاريخية، تلتقيان في تناول عدد من القضايا التي تتصل بحياة الإنسان ومشكلاته. كما تبين أن اختلاف البيئة والتاريخ والثقافة قد أدى إلى اختلاف طريقة معالجة هذه القضايا؛ إذ اعتمد نجيب محفوظ بصورة أكبر على الرمز والإيحاء، بينما اقترب أكرم عثمان بصورة أوضح من الواقع الاجتماعي والسياسي والتاريخي في أفغانستان. ومن هنا تظهر أهمية المقارنة بين الأدب العربي والأدب الأفغاني المكتوب

بالفارسية؛ لأنها تساعد على بيان القضايا المشتركة بين الإنسان في البيئات المختلفة، وفي الوقت نفسه تكشف خصوصية كل أدب وطريقته في تصوير الواقع ومعالجة قضاياه.

النتائج

في ضوء الدراسة التحليلية والمقارنة لروايتي «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ و«كوچهٔ ما» لأكرم عثمان، تبين أن الروايتين تناولتا عددًا من القضايا الإنسانية المهمة، مثل الظلم والقهر والحرية والعدالة والفقر والمعاناة والحرمان. وعلى الرغم من اختلاف اللغة والبيئة والظروف التاريخية بين الروايتين، فإنهما تلتقيان في الاهتمام بالإنسان والمشكلات التي يواجهها في المجتمع وعلاقته بالسلطة والظروف المحيطة به. وأظهرت المقارنة أن القضية الإنسانية المشتركة لا تُعرض بالطريقة نفسها في الروايتين، لأن اختلاف البيئة الاجتماعية والتاريخية أدى إلى اختلاف طريقة تصويرها ومعالجتها فنيًا. ففي «أولاد حارتنا» يظهر الظلم والقهر بصورة رمزية، من خلال الحارة والجبلاوي والفتوات وفرض الإتاوة والعنف والصراع بين القوة والضعف. أما في «كوچهٔ ما»، فيظهر الظلم بصورة أقرب إلى الواقع الاجتماعي والسياسي في أفغانستان، حيث يتداخل القهر السياسي مع القهر الاجتماعي والأسري، وتظهر الملاحقة والاعتقال والعنف وعدم الاستقرار في حياة الشخصيات. كما تبين أن الحرية والعدالة ترتبطان في الروايتين بمواجهة الظلم والسعي إلى الحرية واستعادة الحقوق، ولكن طريقة ظهورهما تختلف من رواية إلى أخرى. ففي «أولاد حارتنا» يظهر السعي إلى الحرية والعدالة من خلال محاولة الإصلاح وتغيير واقع الحارة واستعادة الحقوق. أما في «كوچهٔ ما»، فترتبط الحرية بصورة أكبر بالظروف السياسية والاجتماعية، ولذلك تظهر من خلال النضال والملاحقة والاعتقال والتضحية في مواجهة السلطة والواقع. وهذا يدل على أن مفهوم الحرية في كل رواية يرتبط بالظروف التاريخية والاجتماعية التي تعيش فيها الشخصيات. وفيما يتعلق بالمعاناة والفقر، أظهرت الدراسة أن الروايتين تلتقيان في تصوير حياة الإنسان المحروم، لكنهما تختلفان في طريقة التركيز على هذه المعاناة. فنجيب محفوظ يهتم في كثير من المواضع بالآثار النفسية للمعاناة والصراع الذي تعيشه الشخصيات، بينما يهتم أكرم عثمان بصورة أكبر بالمظاهر الاجتماعية للمعاناة، مثل الفقر والتفاوت الاجتماعي والتمييز والتهميش والحرمان وعدم الاستقرار. ولذلك لا يظهر الفقر في الروايتين بوصفه مجرد نقص في المال، بل يرتبط كذلك بالشعور بالضعف وفقدان الأمان وعدم الاستقرار. وكشفت الدراسة أيضًا أن البناء الفني له دور مهم في بيان القضايا الإنسانية ومعناها. ففي «أولاد حارتنا» يقوم البناء السردي على تعاقب الشخصيات وتجدد الصراع عبر الأجيال، من أدهم إلى جبل ورفاعة وقاسم وعرفة، مما يجعل بعض القضايا، مثل الظلم والعدالة والمعرفة، تتكرر في صور مختلفة. أما في «كوچهٔ ما»، فإن كثرة الشخصيات والأحداث وربط حياة الأفراد بالأحداث السياسية والاجتماعية تجعل الرواية أكثر اتساعًا وارتباطًا بالواقع الأفغاني. وهذا يبين أن طريقة السرد تؤثر في طريقة عرض القضية الإنسانية وفهمها. كما تبين أن المكان يؤدي دورًا مهمًا في الروايتين. فالحارة في «أولاد حارتنا» لا تمثل مكانًا عاديًا فقط، بل تحمل دلالة أوسع وترتبط بصورة المجتمع والعلاقات الموجودة فيه. أما الزقاق في «كوچهٔ ما»، فيرتبط بحياة الناس اليومية وعلاقاتهم الاجتماعية والواقع الذي يعيشون فيه، مع وجود بعض الأماكن التي تحمل دلالات إضافية، مثل الجسر. وهذا يدل على أن المكان يشارك في بناء معنى الرواية وفي تصوير حياة الإنسان ومشكلاته. ومن أهم نتائج الدراسة أن الاختلاف بين الروايتين لا يقتصر على الموضوعات، بل يشمل أيضًا طريقة البناء الفني والأسلوب. فـ«أولاد حارتنا» تعتمد بصورة أكبر على الرمز والإيحاء والاختصار، وتجعل الشخصيات والأماكن تحمل معاني تتجاوز معناها الظاهر. أما «كوچهٔ ما» فتميل بصورة أكبر إلى الواقعية الاجتماعية والتاريخية والوصف والتفصيل، وربط حياة الشخصيات بالظروف السياسية والاجتماعية. ولذلك فإن نجيب محفوظ يقدم بعض

القضايا الإنسانية في إطار رمزي عام، بينما يقدم أكرم عثمان هذه القضايا من خلال واقع أفغاني محدد بظروفه التاريخية والاجتماعية. وتبين من المقارنة أن القضايا الإنسانية تمثل جانبًا مشتركًا يمكن أن يجمع بين الأدب العربي والأدب الأفغاني المكتوب بالفارسية، على الرغم من اختلاف اللغة والبيئة والثقافة. فالإنسان في الروايتين يواجه الظلم والقهر، ويسعى إلى الحرية والعدالة، ويعاني من الفقر والحرمان، لكن طريقة تصوير هذه القضايا تختلف بحسب تجربة كل كاتب وبيئته ورؤيته الفنية. وبناءً على ذلك، يمكن القول إن أهمية المقارنة بين الروايتين لا تقتصر على معرفة أوجه التشابه والاختلاف بينهما، بل تظهر أيضًا في بيان أثر البيئة والبناء الفني في طريقة معالجة القضايا الإنسانية. فقد أظهرت الدراسة أن الشخصيات والمكان والزمن واللغة وطريقة السرد ليست عناصر منفصلة عن القضايا التي تتناولها الرواية، بل لها دور في تحديد طريقة ظهور هذه القضايا ومعناها.

التوصيات والاقتراحات

في ضوء نتائج الدراسة، يمكن تقديم التوصيات والاقتراحات الآتية:

١. إجراء دراسات مقارنة أخرى بين الرواية العربية والرواية الأفغانية المكتوبة بالفارسية، للكشف عن القضايا المشتركة وطرائق معالجتها في البيئات المختلفة.

٢. توسيع المقارنة بين أعمال نجيب محفوظ وأكرم عثمان، وعدم الاقتصار على «أولاد حارتنا» و«كوچهٔ ما»، ودراسة أعمال أخرى لهما من حيث الشخصيات والبناء الفني والزمان والمكان واللغة.

٣. الاهتمام بدراسة الرواية الأفغانية الحديثة والتعريف بها في الجامعات ومراكز البحث العربية، خاصة الروايات التي تتناول المجتمع الأفغاني وتحولاته الاجتماعية والسياسية والتاريخية.

٤. تشجيع ترجمة الروايات الأفغانية المكتوبة بالفارسية إلى العربية، وترجمة بعض الأعمال الروائية العربية إلى الفارسية، بما يسهم في زيادة التعارف الأدبي والثقافي بين الأدبين العربي والأفغاني.

٥. تشجيع استخدام المنهج المقارن في دراسة القضايا الإنسانية، مع الاهتمام بالمضمون والبناء الفني معًا؛ لأن القضية لا تظهر بصورة كاملة من خلال مضمونها فقط، بل تتأثر أيضًا بطريقة تقديمها في الرواية.

٦. إجراء دراسات تهتم بعلاقة الرواية بالتاريخ والمجتمع، خاصة في الأعمال التي تربط الأحداث السياسية والاجتماعية بحياة الشخصيات وتجاربها اليومية.

٧. إجراء دراسات خاصة عن المكان في الرواية العربية والرواية الأفغانية، وبيان الفرق بين المكان الواقعي والمكان الرمزي، لما للمكان من دور في التعبير عن القضايا الاجتماعية والإنسانية.

٨. تشجيع الدراسات المقارنة التي تساعد على التعرف إلى الآداب والثقافات المختلفة، مع مراعاة خصوصية كل أدب وبيئته التاريخية والاجتماعية، وعدم الاقتصار على البحث عن أوجه التشابه، بل الاهتمام كذلك بأوجه الاختلاف وطرائق المعالجة الفنية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٩٤). لسان العرب (ط. ٤). دار صادر.
٢. أبو سعيد أبو الخير. (د.ت.). رباعيات أبي سعيد أبي الخير. دون بيانات النشر.
٣. أبو يساني، حسين. (١٣٨٨). مقارنة ميان أولاد حارتنا و سنگ صبور. مجلة لسان مبين، (٢)، جامعة الإمام الخميني العالمية.
٤. أحمد بن حنبل. (د.ت.). مسند الإمام أحمد بن حنبل. مؤسسة الرسالة.
٥. أركون، محمد. (١٩٩٧). نزعة الأنسنة في الفكر العربي (ترجمة هاشم صالح). دار الساقي.
٦. الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت.). شرح العقيدة الطحاوية. دار الفكر العربي.
٧. أميمة، محمد محمد شلدي. (١٩٩١). مصر في قصص نجيب محفوظ: عصر ما قبل الثورة [رسالة ماجستير، جامعة عين شمس].
٨. البديوي، صالح. (٢٠٠٠). النزعة الإنسانية في شعر صدقي الزهاوي [رسالة ماجستير، جامعة اليرموك].
٩. بكار، يوسف، والشيخ، خليل. (٢٠٠٨). الأدب المقارن (ط. ١). الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.
١٠. بهزان، فريد الله. (٢٠٠٨). كاتب معاصر من أفغانستان: أكرم عثمان وقصصه القصيرة. المجلة البريطانية للدراسات الشرق أوسطية، ٣٥(١)، ٢١–٣٦.
١١. بيري، رالف بارتون. (١٩٨٩). إنسانية الإنسان (ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، ط. ١). مكتبة المعارف.
١٢. التوم، صلاح إبراهيم محمد. (٢٠٢٣). النزعة الإنسانية في أدب المهجر: شعراء الرابطة القلمية أنموذجًا (ط. ١). دار آريثريا للنشر والتوزيع.
١٣. حجازي، أحمد عبدالمعطي. (١٩٩١). أولاد حارتنا وليست نصًّا دينيًا. أدب ونقد، (٧٩)، ١٤–١٩.
١٤. حوّر، محمد إبراهيم. (١٩٨٥). النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم (ط. ٢). مكتبة المكتبة.
١٥. خليلي، خليل الله. (١٩٧٥). رباعيات خليل الله خليلي (ترجمة السيد حسين المروني). مطبعة المعارف.
١٦. سعدي، أبو عبد الله مشرف الدين مصلح بن عبد الله. (١٣٩٩). گلستان سعدى (ط. ١). نشر سروچ.
١٧. سعيد، أمين. (د.ت.). شرح ديوان عنترة بن شداد. المطبعة العربية.
١٨. شكري، محمد يحيى معتز. (٢٠٠٠). الطريق إلى نوبل ١٩٨٨ عبر حارة نجيب محفوظ (ط. ١). دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
١٩. الشيرازي، حافظ شمس الدين. (١٤٠٣). ديوان حافظ (ط. ٤، بعناية محمد قزويني وقاسم غني). بهنود.
٢٠. صبرة، أحمد. (١٩٩٢). أولاد حارتنا ومشكلة سوء الفهم. مجلة الأدب والحرية، (٢)، ٣٥٥–٣٦١.
٢١. صفحه‌ی اطلاعات کتاب در کتابخانه‌ی ملی جمهوری اسلامی ایران.(2016) .
٢٢. طرابيشي، جورج. (١٩٨٨). الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية (ط. ١). دار الطليعة للطباعة والنشر.
٢٣. طراد، مجيد. (١٩٩٩). ديوان كثير عزة (ط. ٣). دار الكتاب العربي.
٢٤. عثمان، محمد أكرم. (١٣٨٨). كوچهٔ ما. محمد إبراهيم شريعتي أفغاني (عرفان).
٢٥. عثمان، محمد أكرم. (٢٠٠٥). كوچهٔ ما (المجلدان ١–٢). انتشارات كاوه.
٢٦. علي شلق. (١٩٧٩). نجيب محفوظ في مجهوله المعلوم (ط. ١). دار المسيرة.
٢٧. غنيم، غسان. (٢٠٠٨). رواية أولاد حارتنا والأنماط الأولية. مجلة الأثر، (٧)، ١٠٩–١٢٠.
٢٨. الغيطاني، جمال. (١٩٨٠). نجيب محفوظ يتذكر (ط. ١). دار المسيرة.
٢٩. فاعور، علي حسن. (١٩٨٨). شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (ط. ١). دار الكتب العلمية.
٣٠. فردوسي، أبو القاسم. (١٣٩٦). الشاهنامة (ط. ٣). انتشارات بيهق كتاب.
٣١. معلوف، لويس. (١٩٠٨). المنجد في اللغة والأعلام. دار المشرق.
٣٢. مغنية، محمد جواد. (١٩٦٣). نظرات في التصوف والكرامات (ط. ١). دار المكتبة الأهلية.

۳۳. مكي، الطاهر أحمد. (١٩٩٠). أولاد حارتنا لنجيب محفوظ: محاولة لتفسير بعض رموزها. عالم الكتاب، (٢٥)، ٩٥–١٠٢.
٣٤. مولانا، جلال الدين بن محمد بن محمد. (١٤٠٤). المثنوي المعنوي (ط. ١٤، وفق نسخة نيكلسون). انتشارات پيام عدالت.
٣٥. فرج، نبيل. (١٩٨٦). نجيب محفوظ: حياته وأدبه. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٦. محفوظ، نجيب. (١٩٨٢). أولاد حارتنا (ط. ٦). دار الآداب.
٣٧. التميمي، هدى. (٢٠١٥). الأدب العربي عبر العصور. دار الساقي للطباعة والنشر.

© Author(s) 2025. This work is distributed under https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/